ولما دخل الساجية والحجرية الدار لم يدخلها سيما وأقام بمكانه من باب العامة الى أن قبض على القاهر فلما قبض عليه دخل .

ولما علم القاهر بحصول الغلمان في الدار انتبه من سكره وأفاق وهرب الى سطح حمام في دُور الحرم فاستتر فيه ولما دخل الغلمان الى المجلس الذى كان فيه لم يجدوه وأخذوا من كان بالقرب مثل زيرك الخادم وعيسى المتطبب واختيار القهرمانة فوكلوا بهم. ووقع فى أيديهم خادم صغير فضربوه بالطبرزينات حتى دلهم على موضعه فدخلوا فوجدوه على سطح الحمام على رأسه منديل دبيقى وفى يده سيف مجرد واجتهدوا به على سبيل الرفق أن ينزل اليهم وقالوا: نحن عبيدك وما نريد بك سوءا وانما نتوثق لانفسنا فأقام على الامتناع من النزول الي ان فوّق اليه واحد منهم بسهم [٤٥٣] وقال: ان لم تنزل وضعته فى نحرك . فنزل حينئذ وقبضوا عليه وكان ذلك ضحوة نهار يوم الاربعاء لست خلون من جمادى الاخرة سنة ٣٢٢ وصاروا به الى موضع الحبوس وقصدوا البيت الذي فيه طريف السبكرى ففتحوه ووجدوا فيه طريفاً فكسروا قيده وأطلقوه وأدخلوا القاهر الي موضعه وحبسوه فيه ووكلوا بالباب جماعة من الساجية والحجرية ووقع النهب ببغداد وانقضت خلافة القاهر بالله

خلافة الراضى بالله أبي العباس

﴿ محمد بن المقتدر فى سنة ٣٢٢ ﴾

واستدلّ الغلمان الساجيّة والحجريّة حين قبضوا على القاهر على الموضع الذى

فيه أبو العباس ابن المقتدر فدلهم عليه خليفة لزيرك الخادم ففتحوا عنه الباب ودخلوا عليه وسلّموا عليه بالخلافة وأخرجوه وأجلسوه على السرير وبايع له قوّاد الساجيّة والحجرية وطريف السبكري وبدر الخرشني ولقب الراضي بالله . وتقدّم باحضار علي بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وأحضرا فوصلا اليه وشاورهما واعتمد عليهما فيما يعمل . فعرّفه علي بن عيسى ان سبيلهُ ان يعقد لواء لنفسه على الرسم في ذلك [٤٥٤] فاستحضر اللواء وعقده بيده ثم أمر بالاحتفاظ به . وأشار عليه بتسلّم خاتم الخلافة فسلمها من كان في يده وهو خاتم فضّة فصّهُ من حديد صيني وعليه كتابة ثلاثة أسطر : محمد رسول الله . وأشار عليه بتسلّم خاتم الخلافة من القاهر بالله فوجّه اليه الراضي ثم فتح عنه الباب وطالبه بخاتمه فسلّمهُ وكان فصّهُ ياقوتاً أحمر وعليه منقوشٌ : بالله محمد الامام القاهر بالله أمير المؤمنين يثقُ . وصار به الى الراضي فأمر ان يسلّم الى حاذق من حذّاق الخزانة ليمحو ذلك النقش منه ففعل ذلك ونقش له خاتم آخر عليه : الراضي بالله .

وتقدّم علي بن عيسى بأن يُحضر القاضي أبو الحسين عمر بن محمد والقاضي أبو محمد ابن أبي الشوارب [١] والقاضي أبو طالب البهلول [٢] وجماعة من الشهود وممن يقرب من دار السلطان فحضروا . فحكى القاضي أبو الحسن محمد بن صالح الهاشمي ابن أمّ شيبان [٣] انه لما استُدعي القاضي أبو الحسين

(١) وفي ترجمة هذه السنة في تاريخ الاسلام هو الحسن بن عبد الله وكذا في التكملة

(٢) هو محمد بن احمد بن اسحاق بن البهلول أبو طالب الانباري وفي تاريخ الاسلام انه كان ينوب عن أبيه في قضاء مدينة المنصور توفي سنة ٣٤٨

(٣) وردت ترجمته في ملحق لاستيفاء أخبار القضاة لابي عمر الكندي ص ٥٧٣

عند القبض على القاهر بالله وجمع وجمع اطرافه وأخذ معه خمسين ديناراً فى حجزة سراويله استظهاراً واستخلفه فى داره ومضى وانصرف بعد ان مضى أكثر الليل الى [٤٥٥] منزله قال : فقال لى : أنا أعرفُ ضيق صدرك وتطلُّعك الى معرفة حديثنا فاسمعه اعلم انى مضيتُ فادخلتُ الى حجرة فيها القاهر بالله ومعى ثلاثة من الشهود وطريف السبكرى فقال له طريف : تقول يا سيّدى . وكرّر ذلك دفعات فقال له : اصبر . ثم التفت الىّ فقال : ألستَ تعرفنى ؟ فقلتُ : بلى . فقال : أنا أبو منصور محمد بن المعتضد بالله رحمة الله عليه ثم القاهر بالله بيعتى فى عنقك وأعناق أهلى وسائر الاولياء ولستُ ابرّئكم منها ولا أحلُّكم بوجه ولا سبب فانهضوا : فقمنا فلما بعدنا عذلتُ طريفاً ولمتُه ملاماً كثيراً وقلتُ : أىّ رأى كان احضارنا الى رجل لم يوطّأ ولم يؤخذ خطُّهُ ويشهد عليه الكتّاب والجند ؟ كان ينبغى ان تقدّم ذلك ثم تحضرنا له . وعدل بنا الى على بن عيسى فسألنا عما جرى فحدثناه به فقطّب وجهَهُ ثم قال : يخلع ولا يفكّر فيه فان افعاله مشهورة وأعماله معروفة. وما يستحقه غير خاف . فقلتُ له : بنا لا تعقد الدوَل وانما يتمّ بأصحاب السيوف ونصلح نحن ونراد لشهادة واستيثاق وقد سمعتُ من الرجل ما حدّثتك به ولم يكن الرأى ان يجمع بيننا وبينه الاّ بعد احكام [٤٥٦] أمره فتغاضب وحضر وقت الصلاة فقمنا . فقال القاضى أبو الحسن محمد بن صالح : فسمعتُ ذلك منه وبكرنا الى دار السلطان فقيل له ان القاهر سمل البارحة [١]

---

(١) قال أبو بكر الصولى في الاوراق : ولما قبض على القاهر حبس في بيت وطولب بأموال فلم يقر بشيء وكانه عرف ما له عند الراضى لسوء ما كان يعامله به فعذب عذابا

فلما حضر أبو علي ابن مقلة استُدعينا وكنتُ مع القاضي أبي الحسين وثلاثة من الشهود واجتمعنا بحضرة الراضي بالله فاومأ الى مفلح الاسود فاحضر ثلاثة من اخوته فأجلسهم عن يمينه وأخرج أبو علي ابن مقلة قرطاساً من كُمّه ونشره فاستحلفهم على البيعة . ثم أومأ الراضي الى مفلح إيماءً ثانياً فاحضر اثنان آخران من اخوته فاجلسهما عن شماله واخذت البيعة عليهما . ثم أعطى أبو علي القرطاس القاضي أبا الحسين فأخذ عليه البيعة وكتبنا خطوطنا في ذلك القرطاس على من بايع وانصرفنا .

وكان سيما أشار بسمل القاهر تلك الليلة فستر الراضي ذلك عن علي بن عيسى واستحضر بختيشوع بن يحيى المتطبب وسأله عمن يحسن ان يسمل فذكر له رجلاً فاحضره وسمل القاهر

وما زال علي بن عيسى يوم الاربعاء الى الليل يأخذ البيعة للراضي بالله على القضاة والقوّاد وكتّاب الدواوين والغلمان وطالبه الراضي ان يتقلّد الوزارة [٤٥٧] فامتنع وذكر انه لا يفي بالامر فأشار سيما بأبي علي ابن مقلة قال : هو يضمن ان يقوم بسائر الامور . فقال علي بن عيسى : قد اشرتُ به على أمير المؤمنين وما يصلح للوقت غيره [١] وكان علي بن عيسى يسأل

شديداً فما أنعم بشيء فأمر بعض الناس فكحله فاعماه وتزيد المكروه عليه فما أفر بشيء ووجد له مال يسير وآلة فأخذت . وفي تاريخ الاسلام : قال القاضي أبو الحسين : فدخلت على الراضي وأعدت ماجرى سراً وأعلمته اني أرى أمانته فرضي فقال : انصرف ودعني واياه .

(١) وفي الاوراق : فاستحضر (الراضي) أبا الحسن علي بن عيسى ومعه أخوه أبو علي عبد الرحمن بن عيسى بالنظر في الامور وأراده للوزارة فاحتج بكبر وضعف فاومأ

فى الفضل بن جعفر فاطلق بمسئلته ووقّع الراضى الى أبى على ابن مقلة [1] فبكر يوم الخميس لسبع خلون من جمادي الأولى سنة ٣٢٢ وحضر على بن عيسى وأخوه عبد الرحمن ووقفا بين يديه يستحلفان من يحضر ويأخذان البيعة عليه وتأخّر الفضل بن جعفر والحسن بن هرون . وخلع على أبى على ابن مقلة خلع الوزارة وركب معه سيما وطريف السبكرى وسائر القوّاد والغلمان والخدم الخاصّة . وظهر الحسن بن هرون وأبو بكر ابن قرابة وصاروا الى أبى على ابن مقلة ثم انصرفوا الى منازلهم .

واستأنف أبو على ابن مقلة سيرة حسنة وقال : قد عاهدتُ الله فى

الى أخيه بذلك وان يكون الاسم والخدمة له ويتولى هو النظر في أمر الملك وتدبير الناس وجباية الاموال على كره منه لذلك . وتقلب لما رأى من تعذر مال البيعة الا انه كتب بالبيعة الى النواحي ونظر فى المهم الذى يوجبه الوقت ومعه أخوه مفرما له ما يعمل ومستأذنا له فيه الى ان وافت رقعة أبي على ابن مقلة الى سيما المناخلى يتضمن له ان يحتال في وقته خمسمائة الف دينار يصرفها فى الرجال للبيعة ويتضمن له ان أتم ذلك خمسمائة الف دينار لنفسه . وكان المتولى لايصال الرقعة الى المناخلى كاتب له حدث يعرف بعلى بن جعفر وضمن له الفى دينار معجلة واضعافها مؤجلة فصار المناخلى وادى ما بالرقعة بضمان الخمسمائة الاف الدينار الى الراضى بالله فلما وقف عليها أحضر على بن عيسى واقرأه اياها فقال له : أمير المؤمنين في هذا الوقت محتاج الى زكاة هذا المال وما عندى وجه لبعضه والصواب ان صح هذا المال ان يمضي أمر هذا الرجل ويستكتبه . وانصرف فجلس في منزله فكان الراضى بعد ذلك يقول : لم يتحصل لنا من الخمسمائة الالف الدينار درهم واحد من أموالنا وأموال الناس مثلها .

(١) وفي التكملة : وهو في دار ابن عبدوس الجهشيارى

استتارى الا اسيء الى أحد ونذرت نذوراً[1] فوفى وأطلق كلّ من كان في حبس القاهر من كاتب وجنديّ واطلق عيسى المتطبب واسحق بن على القتائى وكان الراضي أنفذهم اليه . ثم تعقب الرأى فى عيسى المتطبب فصادره

(١) زاد فيه صاحب التكملة : وقال ابن مقلة لما أتاه الناس : كنت مستتراً في دار أبي الفضل بن مارى النصراني فسعى بي القاهر قبل زوال أمره بشهرين وعرف موضعي وأتى لجالس وقد مضى نصف الليل أتحدث مع ابن مارى فاخبرتنا زوجته ان الشارع قد امتلا بالمشاعل والشمع والفرسان فطار عقلي وادخلني ابن مارى بيت تبن وكبست الدار وفتشوها ودخلوا بيت التبن وفتشوه بأيديهم فلم أشك أنني مأخوذ وعاهدت الله تعالى على انه ان نجاني من يد القاهر بالله أن أنزع عن ذنوب كثيرة وانني ان تقلدت الوزارة أمنت المستترين واملقت ضياع المتكوبين ووقفت وقوفا على الطالبين فما استتممت نذرى حتى خرج القوم وانتقلت الى مكان اخر . وما نزع من الخلع حتى وفي بالنذر

وكتب ابن ثوابة في خلع القاهر كتابا قرئ على المنابر . وكان زيرك القاهرى قد أجل عشرة الراضي وقت استقباله فكافأه بأن قلده أمر حرمه وأكرمه .

وقلد ابن مقلة أبا الفتح الفضل بن جعفر خلافته على سائر الاعمال وقلد أبا عبد الله البريدى خوزستان وقلد اخوته البصرة والسوس وجنديسابور وكور دجلة وبادوريا والانبار ونهر سير وقطربل ومسكن وكتب الى علي بن خلف بن طناب باقراره على فارس وكرمان وقلد الحسن بن هرون ما قلده على بن عيسى من أعمال واسط بمائتى الف كرّ شعير وعشرة آلاف كرّ ارز وأربعمائة كر سمسم والف الف وأربعمائة الف درهم وقلد القراريطى كتابة ابن ياقوت والزمام وديوان الفرات فسفر حينئذ اصاحبه محمد بن ياقوت في الحجبة وحمل الى سبا خمسة عشر الف دينار حتى عرف الراضي بالله انهم لا يريدون غير محمد بن ياقوت وأنفق هذا الوجه بحجة على القواد مائة الف وعشرين الف دينار. فغاظ ابن مقلة لانه استدعى ابن رائق وهو بالباسيان لذلك ولم يمكنه تغيره فلما صار ابن رائق بالمدائن أمره الراضي بالانحدار الى واسط وأضافها الى اعماله من البصرة وغيرها . وكان ابن رائق برامهرمز عازماً على التوجه الى أصبهان فكوتب بالاصفاد فالتقى ابن ياقوت في طياره وابن رائق في حديدية فسلم كل واحد منهما على صاحبه ايماء من غير قيام . وتلقى ابن ياقوت الحجرية والساجية ودخل على الراضي فخلع عليه وقلده الحجبة وصار اليه الناس الى داره بالزاهر ولم يقم لاحد الا لابن مقلة ولعلي بن عيسى

(٤٥٨) وكان القاهر قد اعترف بوديعة أودعها اياهُ من العين والورق والطيب فاستخرج كلّه منه . وسأل فى أمر أبى العباس الخصيبى فكُتب له أمانٌ وقّع الراضي فيه بخطّهِ وتسلّمهُ الوزير أبو على وأنفذه فى درج رُقعة منه بخطه الى الخصيبي وخاطبه أجمل مخاطبة وظهر الخصيبي فقلّده دواوين الضياع الخاصّة والمستحدثة والعباسيّة والفراتيّة والمقبوضة عن أمّ موسى ونذير وشفيع اللؤلؤى وضياع المخالفين وضياع البرّ وضياع الجدّة والدة المقتدر وديوانى زمام المشرق والمغرب وأجرى عليه لنفسه سوى أرزاق كتّابه فى هذه الدواوين ألف دينار فى كلّ شهر وقلّد الراضي بدراً الخُرشنى الشرطة بمدينة السلام .

ولما تقلّد الراضي الخلافة وردت كتب أبى جعفر الكرخى وأبى يوسف كاتب السيّدة بتخلصها من الاهواز الى نواحى دُور الراسبي هاربين من محمد بن رائق . وكان بنو البريدى يستترون فى أنهار الاهواز نهر بعد نهر ووصل الخبر الى ابن رائق وهو بالباسيان ان القاهر خلع من الخلافة وتقلّدها الراضي بالله وانه قد ندب للحجبة فرجع منكفئا الى واسط ولم يدخل (٤٥٩) البصرة ورجع الكرخى الى البصرة ثم عاد الى غيلة بالاهواز فنظرَ وعمل الى ان ضمن ابنُ مقلة بنى البريدى أعمال الاهواز

﴿ ذكر ابتداء أمر أبى الحسن على بن بويه الديلمى ﴾

كنا كتبنا فيما تقدّم ان أبا الحسن على بن بويه لحق بمرداويج وهو فى حدود طبرستان فعوّدهُ وضمّ رجالا اليه فلما أنفذه الى الرىّ (وكان أخوه وشمكير بها) اتفق أن عامل الكرج طمع فى مالها فانفذ على بن بويه ليتلافى أمر الكرج ومعه دون مائة رجل من أصحابه فأقام بها .

وتلقى اليه من الاطراف ديلم فصار فى نحو ثلاثمائة رجل فانكر مرداويج أمرَهُ وكاتبهُ بالانصراف فتأخر ورُوسِل فتمالل وكان قد استخرج من مال الكرج نحو خمسمائة ألف وفوقها فى مدّة يسيرة واستوحش مرداويج وهدَّدهُ فقزع وأخذ مرداويج ووشمكير فى تدبير القبض عليه

وكان على بن بويه قد استخلف بحضرة وشمكير وهو بالرىّ عند خروجه أحمد حاجبه (وهو والد أبى اسحق الطبرى الشاهد [1]) فى هذا الوقت فكتب اليه أحمد بما فيه مرداويج ووشمكير من الخوض فى سيئه وكان مرداويج قد صار الى عند أخيه بالرى بهذا السبب ولتسريب الجيوش اليه فخرج من الكرج الى اصبهان خائفاً [٤٦٠] ليستأمن الى المظفر بن ياقوت وكان عند المظفر بن ياقوت فى الوقت سبعمائة رجل من الديلم ووجههم فناخسره والد الحسن الديلمى الذى كان ببغداد ونظر فى الشرطة بها. فلما قرُب من اصبهان خرج اليه المظفر ليمنعه ومعه نحو أربعة آلاف رجل فتخاذل أصحابه ووقع بين أصحابه من الديلم خلاف لان فناخسره كان له عدُوّ من الديلم يضارّهُ فتقاعد المولدون أيضاً وافترقت كلمتهم وانهزم المظفر بن ياقوت الى فارس وبها أبوه ياقوت . واستأمن الى على بن بويه نحو من أربعمائة رجل من الديلم فصارت عدّتهُ سبعمائة رجل وملك اصبهان وهو فى ثلثمائة رجل . وبلغ الخبر مرداويج فسير أخاه وشمكير لطلبه فى الوقت لما قرُب من اصبهان رحل عنها على بن بويه وصار الى أرجان وكان قد تهيّبها لحصوله بين ياقوت وهو بفارس وبين ابنه محمد وهو برامهرمز فصوّر عنده بالمهانة واضطراب الرأى والرجال فدخل أرجان واستوطنها وكاتب

(١) هو ابراهيم بن احمد بن محمد كذا في كتاب الوزراء ص ٦٣

ياقوت واستخرج من مال أرجان خراجاً نحو الفي ألف درهم ووصل مع ذلك الى ودائع ونظم أمره للمسير الى كرمان وبها ماكان بن كاكي الديلمي ليستأمن اليه . فلم يجبه ياقوت عن كتابه ولم يقبله [٤٦١] فكاتبه على بن بويه وخاطبه بالامارة والتمبد وعرّفه أنه يسئله احد أمرين اما أن يقبله أو يأذن له في المصير الى باب السلطان فلما لم يقبله ياقوت وسار اليه مع ابنه المظفر ليحاربه سار على بن بويه الى النوبندجان وقدّر أن تكون الحرب بها وقدّم كتبه اليه وطلب منه الامان واستعفاه من الحرب فحذره ياقوت وخشي أن يغتاله وكان قيل له ان على بن بويه يريد الحيلة عليه ليحصل بفارس ويخدعه عنها . وكان على بن بويه قد حصل أيام مقامه بكازرون وبلد سابور وذلك عند خروجه من أرجان نحو خمسمائة ألف دينار مع كنوز كثيرة وجدها فقويت شوكته وزاد رجاله فلما صار الى النوبندجان قام بأمره أبو طالب زيد بن على وتكفل بنفقاته فلزمه عليه في كل يوم خمسمائة دينار وأقام عنده مدة فلما خرج اليه ياقوت تهيبه هيبة شديدة . وذلك أن جيش ياقوت كانوا سبعة عشر ألف رجل من جميع الأصناف ساجية وحجرية والرجالة المصافية وغيرهم من الديلم وأصناف العسكر وعلى بن بويه في ثمانمائة رجل فسأله أن يفرج له عن الطريق لينصرف عنه ويجتاز الى حيث يجتاز فمنعه [٤٦٢] ياقوت وطمع فيه لقلة عدده ولوفور ما وصل اليه من المال . فلم يثبت له على بن بويه وسار الى البيضاء فمنعه ياقوت وواقعه على باب اصطخر يومين فكانت لياقوت . فاشتد طمع ياقوت فيه وزاد تهيب على بن بويه وحنق عليه المسئلة في الافراج له لينصرف عنه فامتنع عليه فلما كان يوم الخميس لاثنى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٣٢٢ واقعه مستقتلا

فحدثني من شهد الوقعة من الديلم أنه ترجل ستة نفر من الديلم وصفوا تراسهم وتقدموا زحفاً واستأخر من واجههم من أصحاب ياقوت فاشتلموا وتقدموا وحمل أبو الحسين أحمد بن بويه في نحو ثلاثين رجلا فانهزم ياقوت وجميع من معه وذلك وقت الظهر من ذلك اليوم وانصرف الى شيراز . فقدر علي بن بويه ان انصرافه مكيدة منه لاهزيمة فتوقف في موضعه ولم يتبعه الى وقت العصر فلما صح عنده انها هزيمة سار الى شيراز فنزل أول منزل قرية يقال لها الزرقان على ستة فراسخ من شيراز وبكر منها يوم السبت فنزل قرية يقال لها الدينكان وعنده أنه سيحارب عن البلد ويدفع عنه لان الجيش الذي انهزم عنه كانوا قد انصرفوا [٤٦٣] عنه موفورين لم يحاربوه ولا وقفوا بين يديه . فنزل على فرسخ من شيراز في مضاربه وبلغه ان ياقوتاً وعلي بن خلف بن طناب قد خرجا عن شيراز والبلد شاغر خال فوجه بجماعة من الديلم واخلاط من الجند الى شيراز للمقام بها وضبطها فبادر اليهم العامة بشيراز مع جماعة من الرجالة السودان ومماليك للثناء . وكان الديلم قد تفرقوا في الاسواق فقتلوا منهم نحو سبعين رجلا فبلغ علي بن بويه ذلك ووجه بأخيه أبي الحسين أحمد وكان سنه اذ ذاك تسع عشرة سنة وهو أمرد وهو حينئذ صحيح اليدين وأنفذ معه ثمانين رجلا من الديلم فقتل من السودان نحو ألف رجل ونادى في البلد الا يقيم فيه أحد من أصحاب ياقوت ولا من الجند وان من وجد بعد النداء فقد اباح دمه وماله فلم يبق في البلد أحد منهم.

ودخل علي بن بويه شيراز واتفقت له بها ضروبٌ من الاتفاقات عجيبة كانت سبباً لثبات ملكه . فمنها ان أصحابه اجتمعوا وطالبوه بالمال ونظر فاذا القدرُ الذي معه لا يرضيهم وأشرف أمرُهُ على الانحلال فاشتغل قلبه واغتم

غما شديداً . فبينما [٤٦٤] هو مفكرٌ قد استلقى على ظهره فى مجلس ياقوت من داره وقد خلا فيه للفكرة والتدبير اذ رأى حيةً قد خرجت من موضع من سقف ذلك المجلس ودخلت موضعاً آخر منه وخاف ان تسقط عليه وهو نائم فدعا بالفرّاشين وأمرهم باحضار سُلم واخراج تلك الحية ففعلوا . ولما صعدوا وبحثوا عنها وجدوا ذلك السقف يفضى الى غرفة بين سقفين فعرّفوه ذلك فأمرهم بفتحها ففتحت ووجد فيها عدّة صناديق فيها من المال والصياغات خمسمائة ألف دينار فاستوى جالساً وحمل الى بين يديه ذلك المال فسرّ به وأنفقهُ فى رجالهِ وثبت أمرهُ بعد ان أشفى على الاضمحلال

وحكى أبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازى ان على بن بويه أراد قطع ثياب وسأل عن خياط حاذق فوُصف له خياط لياقوت فأمر باحضاره وكان أطروشاً ووقع له انه قد سعى به اليه فى وديعة كانت لياقوت وانه طلبه بهذا السبب فلما خاطبهُ حلف انه ليس عنده الاّ اثنا عشر صندوقا لا يدرى مافيها . فعجب على بن بويه من جوابه ووجّه معه بمن حملها فوجد فيها أمراً عظيما من المال والثياب.

والذى كان يكتب لعلى بن بويه فى ذلك الوقت رجلٌ نصرانى [٤٦٥] من أهل الرىّ يعرف بأبى سعد اسرائيل بن موسى ثم قتله بعد مدّة بسبب سنفرد له خبراً واستكتب مكانه أبا العباس أحمد بن محمد القُمّى المعروف بالخيّاط . وسفر الامير أبو الحسن على بن بويه بعد تمكّنه من البلد فى ان يقاطع السلطان عنه ويتقلّدهُ من قبل الراضى فأجيب الى ذلك وقُنع منه بما بذل وهو فى كلّ سنة بعد جميع المؤن والنفقات الراتبة والحادثة ثمانية آلاف الف درهم خالصة للحمل . وكتب الى الوزير أبى على ابن مقلة يحلف له

باغلاظ الايمان على موالاة الوزير أبي على ابن مقلة وابنه أبي الحسين ومعاضدتهما وما يقال فى هذا المعنى وأكّدهُ . فأنفذ اليه الوزير أبو على بالخلع واللواء فى شوّال سنة ٣٢٢ ورسم للرسول وهو أبو عيسى يحيى بن ابراهيم المالكى الكاتب الاّ يسلّم اللواء والخلع الاّ بعد ان يتسلّم المال ووقف عليه . فلما قرب المالكي من البلد تلقّاهُ على بن بويه على بعد وسار معه الى ظاهر شيراز وطالبه بأن يسلم اليه اللواء والخلع فعرّفه ما رُسم له وانه لا يمكنه من ذلك الاّ بعد تسلّم المال الذى وُقف عليه فخاشنهُ على بن بويه وازهمهُ حتى سلّم اليه الخلع ولبسها ودخل بها الى شيراز وبين يديه اللواء وأقام المالكي مدّة يطالب (٤٦٦) بالمال فلم يدفع اليه شيئا بتّة وحصل على المواعيد والمطل والتوقّف ثم اعتلّ المالكى ومات بشيراز وحمل تابوته الى بغداد فى سنة ٢٣

وانفتح لعلى بن بويه وجوه الذخائر والودائع ووزير [ه] أبو سعد النصرانى فضمن له بقايا مال السنة أبو الفضل العباس بن فسانجس وابن مرداس وأبو طالب زيد بن على وغيرهم من وجوه البلد بأربعة آلاف الف درهم واستخرجت له الذخائر وانفتحت له كنوز وودائع عمرو بن الليث ويعقوب بن الليث (١) وياقوت وابنه وعلى بن خلف ورجال السلطان وكثرت أموال على بن بويه وعمرت خزائنهُ واستأمن اليه رجال ما كان بن كاكي من كرمان وكثر جمعهُ واستفحل أمرهُ . وانتهى خبره الى مرداويج فقامت قيامته ووافى أصبهان وبها وشمكير أخوهُ لانه لما خلع القاهر من الخلافة وتأخّر محمد بن ياقوت عنها وبقيت سبعة عشر يوما خالية أعاد مرداويج

(١) هما من آل الصفار مات يعقوب سنة ٢٦٥ وخلفه أخوه عمر وأسره اسمعيل بن أحمد السامانى سنة ٢٨٧ وحبس ببغداد ومات بالحبس سنة ٢٨٩ (طبرى ٣ : ١٩٣١ و ٢٢٠٨)

أخاهُ اليها فلما استقرّ بها وورد مرداويج لتدبير على بن بويه عند استعصائه عليه ردّ أخاهُ وشمكير الى الرىّ لخلافته عليها. وأنفذ شيرج [1] بن ليلى اسفهسلاّره مع حاجبه الشابشتى ومعهما الفان وأربعمائة رجل من الجيل والديلم ووجوه القوّاد مثل بكران واسمعيل الجيلى [٤٦٧] الى الاهواز وكان غرضه ان يملكها فيأخذ الطريق على علىّ بن بويه ويحجز بينه وبين السلطان حتى اذا قصده بعد ملكه الاهواز لم يكن له منفذ الا الى تخوم كرمان والتيز ومكران وأرض خراسان

ولما نزلت عساكر الجيل ايذج خاف ياقوت ان يحصل بينهم وبين على ابن بويه فوافى الاهواز ومعه ابنهُ وقلّده السلطان أعمال الحرب والمعاون بها. وارتسم أبو عبد الله أحمد بن محمد البريدى بكتابة ياقوت مضافة الى ما اليه من أعمال الخراج والضياع بالاهواز وصار أخوه أبو الحسين يخلف أخاه وياقوتا بالحضرة. وحصل رجال مرداويج برامهرمز فى غرّة شوال من سنة ٣٢٢ وصلّوا العيد بها وخطبوا لمرداويج وساروا الى الاهواز فعسكر ياقوت بقنطرة أربق وقطعها والماء الذى تحت هذه القنطرة حاد الجرية. فأقام رجال مرداويج بازاء ياقوت أربعين يوماً لا يمكنهم العبور اليه وسار ياقوت الى بغداد على طريق دُور الراسبى وسار على بن خلف بن طناب فى البحر من ساحل مهروبان الى البصرة. ورحل جيش مرداويج عن قنطرة أربق وضمن لهم طائفة من العيّارين ان يعبروا بهم نحو المسرُقان بعسكر مكرم حتى يصير الطريق بينهم وبين الاهواز جدداً فعدلوا اليها. واجتمع البريدى [٤٦٨] وياقوت فتشاوروا وقرّر الرأى على إنفاذ مونس غلام ياقوت

(١) وفي التكملة : شيرز

فى أربعة آلاف رجل الى عسكر مكرم لدفعهم عن عبور المسرقان وكانا حسبا ان القوم بعد منزلة أربعين يوماً قد ضجروا وانصرفوا وانهم لا يلبثون بعسكر مكرم الا يومين أو ثلاثة فلما حصلوا بها عملوا أطوافاً من خشب وشاشا من قصب وعبر منهم خمسون رجلا عليها فانهزم مونس لوجهه وعاد الى مولاه فاخبره الخبر . وكان قد ورد اليه مددٌ من بغداد وخيلٌ عظيمة فرحل لوقته من قنطرة أربق بعد اجتماع الجيل اليه بيومين وصاروا بأجمعهم الى قرية الريح وهم بالحقيقة قد حصلوا من أمرهم على الريح . وصار ياقوت ومن تبعه وهم عدة وافرة كثيرة الى باذاورد ومنها الى واسط فافرج له محمد بن رائق عن غربيها فنزله بعسكره . وعرف على بن بويه حصول عسكر مرداويج بالاهواز وشرح ماجري وتملق لكاتب مرداويج واستصلحه وأقام الخطبة وواقفه على مال وأنفذ اليه رهينة فسكن مرداويج وقلّد علىّ بن بويه ارجان بعد انصراف ياقوت وعلى بن خلف عنها ابراهيم بن كاسك .

واستقرت كتابة ياقوت لابى عبد الله البريدى (٤٦٩) فورد عليه الخبر وهو بالبصرة فى بستان المؤمّا يريد المسير فى طياره الى واسط بقتل مرداويج فى الحمام باصبهان فانفذ للوقت أبا عبد الله بن جنى الجرجرائى الى الاهواز بخلافته عليها وقال له : اقصد ظاهر البلد بل اقم على فرسخ منه فاذا صح عندك خروج الجيل والديلم فادخله واثبت عند دخولك الفرسان والرجالة فانى أنفذ من واسط أبا الفتح ابن أبي طاهر وأبا أحمد الجستانى فى الف رجل لضبط البلد وكور الاهواز . ثم وافى أبو على غلام جوذاب كاتب البريدى فى طريق الماء وترتب ابن أبى طاهر بالاهواز وأبو أحمد الجستانى بعسكر مكرم . ووافى ابراهيم بن كاسك من أرجان الى رامهرمز طمعا فى الاهواز

لما خلت فكاتبه على بن بويه بالتوقف والايبرحها حتى يمده بالجيش فمن قبل ورود الجيش عليه من فارس ما وافى ياقوت الى عسكر مكرم على طريق السوس فلما بلغ ابرهيم بن كاسك خبره رحل من رامهرمز الى أرجان . وكانت مع ياقوت قطعة من الديلم والاتراك والخراسانية فظن أنهم يثبتون وانه مستظهر بهم ووافاه أبو عبد الله البريدى والتقيا بعسكر مكرم وانفق فيه وفى رجاله ثلثمائة الف دينار على يد ابن بلوى وابن سريج المنفقين وسيرهم الى أرجان (٤٧٠) ووافاهُ على بن بويه وحاربه بها فانهزم ياقوت هزيمة ثانية لم يفلح بعدها ولا شد منها حزاما ولم ينفعه عدد العجم والديلم ولا عجب من أمر الله. وتبعه على بن بويه الى رامهرمز وخيف على الاهواز منه فراسله أبو عبد الله البريدى فى الصلح فاستجاب وكاتب الوزير أبا على ابن مقلة فيما قرره من الصلح فعرضه على الراضى بالله فامضاه . فانصرف على بن بويه الى شيراز وعقدت فارس على علىّ بن بويه بما ذكرناه ونفذ اليه أبو عيسى المالكى باللواء والعهد وكان من أمره ما قدّمتُ ذكره

﴿ وقتل أبو الحسن على بن بويه أبا سعد اسرائيل كاتبه ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان السبب فى ذلك ان أبا سعد كان مكينا عند على بن بويه يتبرك به ويكرمه جدا وكان يقود الجيش وله غلمان أتراك ولبس القباء والسيف والمنطقة وكان قد حارب في وقت ياقوتا فهزمه. فكان أبو العباس الخياط القمى يضرّب عليه دائما ويجتهد فى افساد رأى صاحبه فيه فلا يقبل منه وينهاه عن ذكره فلا ينتهى الى ان قال يوما وقد أكثر عليه فى الاغراء به : يا هذا ان هذا الرجل صحبنى وحالى صغيرة وقد بلغتُ ما ترى ولستُ

أدرى هل [٤٧١] ما وصلت اليه بدولته أم بدولتى وليس الى تغيير أمره طريق فاياك أن تعاودنى فيه . فما أغنى ذلك منه ولا انتهى عن الوقيعة فيه وثلبه .

وكان بين أبى سعد هذا وبين حاجب لعلى بن بويه يقال له خطلخ (واليه مع الحجبة رياسة الجيش) عداوة فاتفق ان دعى أبو سعد دعوة عظيمة دعا فيها على بن بويه والقواد وأنفق فيها فى الخلع والحملان ما له قدر كثير ودعا خطلخ فلم يستجب الى المصير اليه واجتهد به فلم يكن له فيه حيلة وأصبح أبو سعد من غد يوم الدعوة فأقام على أمره ودعا من يانس به . وانتبه خطلخ من نومه وهو مغتاظ يزعم أنه لا بد له من أن يركب الى أبى سعد فيقتله لانه رأى فى نومه أبا سعد يريد قتله فاجتهد به خواصه فى أن يؤخر ذلك فامتنع وحمل فى خفه دشنيا وركب . وقيل لابى سعد ان خطلخ قد ركب على ان يجيئه فانكر ذلك لانه كان دعاه فامتنع فلم يعرف لمجيئه اليه بغير استدعاء وجها فاستعد ليستظهر وقال لغلمانه : تأهبوا بالطبرزينات وكونوا مستترين فى المجالس حوله فان أنكر من خطلخ أمرا صاح بهم فخرجوا ووضعوا عليه . وحضر خطلخ فتلقاه أبو سعد وجاء حتى جلس [٤٧٢] وأخذ يتجنى ويعربد الى ان ضرب يده الى خفه وأخرج الدشنى فصاح أبو سعد بالغلمان فخرجوا بالدبابيس والطبرزينات ووضعوا على خطلخ ووقع فى رأسه دبوس فدوخه وسقط وقدر انه مات وحمل الى منزله فعاش يومين ومات . فبادر أبو العباس الحناط الى الامير فى الوقت فوجده نائما فقال للغلمان : انبهوه . فلم يجسروا فصاح وجلب الى ان أنبهه ودخل اليه وقال له : ان أبا سعد قتل حاجبك خطلخ . فلم يصدقه وانتهره فقال : وجه وانظر . فورد عليه الخبر بصدقه فاستعظم ذلك ووجم ساعة . ودخل أبو سعد فلم يظهر له

انه أنكر شيأ ولا انه استوحش وسأله عن السبب فيما فعله فعرّفه الصورة واستشهد من حضر فاستصوب مافعله . وخاف أبو سعد ووجد أبو العباس الخناط فرصته وأقبل يقول : هو ذا ياخذ البيعة على القواد وهو خارج عليك لا محالة . فوجه الامير الى أبي سعد فأنسهُ غاية التأنيس وحلف له ايمانا مؤكّدة على ثقته به وانه لا يلحقه سوء من جهته. واتفق ان أخرج أبو سعد صناديقه من البيوت الى صحن داره ليسترها استظهارا وخلا بموسى فياذة يشاوره فمضى الخناط الى الامير علي بن بويه [٤٧٣] فقال له : قد استحلف أبو سعد قوادك وآخر من استحلفهُ موسى فياذة وها هو قد أخرج صناديقه وهو خارج الساعة. فوجه الامير بمن عرف خبرهُ فرأى الرسولُ الصناديق وموسى فياذة خارجاً من عنده فعاد اليه بالخبر فلم يشكّ الامير حينئذ في صحة قول الخنّاط. فقبض عليه وعلى جميع ماله من سائر الاصناف واعتقله. وكان في الاعتقال الى ان ورد بعض قوّاد الاتراك من بعض أعمال فارس فواطأهُ الخناط على الدخول مع أصحابه وهم خمسون رجلا مخرقي الثياب مسودّي الوجوه يضجّون بما جرى على خطلخ من أبي سعد ويتهدّدون ان لم يقتل أبو سعد ففعل القائد ذلك ودخل والامير على شرب فامر بقتل أبي سعد ثم وقعت الندامة عند الصحو وبعد فوت الامر. واستكتب الامير بعده أبا العباس الخناط وبقي معه الى ان مات الامير علي بن بويه .

ونعود الى ذكر الاحوال الجارية بمدينة السلام . لما حصل محمد بن ياقوت بالحضرة وحصلت له الحجبة ورياسة الجيش أدخل يده في تدبير أعمال الخراج والضياع ونظر فيما ينظر فيه الوزراء وطالب أصحاب الدواوين بحضور مجلسه والا يقبلوا توقيعاً بولاية [٤٧٤] ولا صرف ولا غير ذلك من

سائر الاحوال الا بعد ان يوقع فيه بخطه . وتجلد أبو علي واحتمل ذلك والزم نفسه المصير اليه فاذا صار اليه دفعتين صار هو اليه دفعة واحدة . فكان أبو علي كالمتعطل لا يعمل شيأ ملازما لمنزله ويجيئه أبو اسحق القراريطي كاتب محمد ابن ياقوت فيطالعه بما يجري ومايعمل [1]

﴿ وفي هذه السنة قتل هرون بن غريب الخال ﴾

(ذكر السبب في قتله)

كان سبب ذلك انه لما بلغ هرون بن غريب تقليد الراضي الخلافة وكان مقيما بالدينور وهي قصبة أعمال ماه الكوفة وهو متقلد أعمال المعاون بها وبما سَبَذان ومهرجانقذق وحلوان وتدبُّر أعمال الخراج والضياع بها وهي النواحي التي كانت بقيت في يد الساطان من نواحي المشرق بعد الذي غلب عليه مرداويج) رأى انه أحقُّ بالدولة من كل أحد فكاتب جميع القوّاد بالحضرة وانه ان صار الى الحضرة وتقلد رياسة الجيش وتدبير الامور أطلق لهم أرزاقهم على التمام ولم يؤخر عنهم شيأ منها . وسار الى بغداد حتى وافى خانقين فغلظ ذلك على الوزير أبي علي ابن مقلة وعلى محمد ابن ياقوت وعلى الحجريَّة والساجيَّة والمونسية وخاطبوا [175] باجمعهم فقال الراضي : أنا كارهٌ له فامنعوه من دخول الحضرة وحاربوه ان أحوج

(١) وقال فيه ابو بكر الصولي في كتابه الاوراق : وتمزق الامر بين محمد بن ياقوت ومحمد بن علي بن مقلة واستبد ابن ياقوت بالامر دونه ولم يمض امرا الا بتوقيعه ونظر في الاموال ورمى با كثر أمره الى كاتبه محمد بن أحمد القراريطي الى أن أظهر الوزير اطباق دواته وترك النظر في شيٍّ البتة . واذا اضطر ان يوقع في أعمال أو ينظر في أمر ملك عرضت توقيعاته على ابن ياقوت فما أراد امضاءه ورضيه وقع فيه بامضائه وما لم يرده لم يوقع فيه فبطل ولم يلتفت الى توقيع غيره . فما زال الوزير يعمل في أمره حتى قبض عليه وانا أذكر ذلك في حوادث السنين ان شاء الله

الى ذلك [1]

فلما كان يوم السبت لسبع خلون من جمادى الآخرة استحضر أبو بكر ابن ياقوت أباجعفر بن شيرزاد وأوصله الى الراضي بالله حتى حمّلهُ رسالته الى هرون بن غريب بأن يرجع الى الدينور وكتب معه كتابا فنفذ من وقته ووجد هرون قد صار الى جسر النهروان وأدّى الرسالة وأوصل الكتاب فاجاب هرون بانه قد انضم اليه من الرجال من لايكفيهم مالُ عمله وعاد أبو جعفر بالجواب وأدّاه الى الراضي بالله بحضرة الوزير أبي علي والحاجب أبي بكر محمد بن ياقوت . فبذلوا له ان يقلدوه أعمال طريق خراسان كلها ويكون مالها مصروفا اليه زائدا على مايأخذه وقال الراضي بالله : سبيلهُ ان

(١) وفي الاوراق لابي بكر الصولي : وما كان يصافي النية له لان الراضي بالله كان في حجر مؤنس المظفر وكان العباس بن المقتدر في حجر الخال ثم في حجر ابنه هرون بعده فكان يتهمه بايثاره عليه ولأنه أيضا كان منحرفا عن جدته شغف أيام حياة أبيه. ثم رأيت من ذكره لها في خلاقه وتحننه عليها ما كنت أسمع ضده منه في أيام امارته وكذلك عاد منه كل تشعيث كان رعما نفت به في أيه مدحا وتقريظا ووصف محاسن . واني لاذكر يوما في امارته وهو يقرأ عليَّ شيأ من شعر بشار وبين يديه كتب لغة وكتب أخبار اذ جاء خادم من خدم جدته السيدة فاخذوا جميع مابين أيدينا من الكتب فجعلوه في منديل أبيض كان معهم وما كلمونا بشيء ومضوا . فرأيته قد وجم لذلك واغتاظ فسكنت منه وقلت له « ليس ينبغي ان ينظر في مثلها فاحبوا ان يمتحنوا ذلك » وقد سرني ذلك ليروا كل جميل منه . ومضت ساعتين أو نحو ذلك ثم ردوا الكتب بحالها فقال لهم الراضي : قولوا لمن أمركم بهذا « قد رأيت هذه الكتب وانما هي حديث وفقه وشعر ولغة وأخبار وكتب العلماء ومن كمله الله بالنظر في مثلها وينفعه بها وليست من كتبكم التي تلعبون فيها مثل عجائب البحر وحديث سندباد والسنور والفأر. وخفت ان يؤدي الخادم قوله فيقال «من كان عنده » فيذكروني فيلحقني من ذلك ماأكره (الى مالي عندهم مما سأذكره والسبب فيه في موضعه من أخباره ان شاء الله) فقمت الى الخدم فسألتهم أن لايعيدوا قوله فقالوا : والله مانحفظه فكيف نعيده !

يقتصر على بعض من معه من الرجال . فنفذ أبو جعفر ومعه أبو اسحق القراريطي بهذا الجواب فلما ادّيا اليه الرسالة امتنع وقال : ان الرجال لايقنعون بهذه الزيادة. ثم قال: ومن جعل ابن ياقوت أحق بالحجبة والرياسة مني ؟ الناس يعلمون انه كان في آخر أيام المقتدر يجلس بين يديّ ويمتثل أمري ومن جعله أخصّ بالخليفة مني وأنا نسيب أمير المؤمنين وقريبه وابن ياقوت ابن غلام من غلمانه ؟[٤٧٦] فقال القراريطي : لوكنت تُراعي ما بينك وبينه من القرابة لما عصيته . فقال : لولا انك رسول لأوقعت بك ثم فانصرف . ووضع هرون يده في الاستخراج فاستخرج أموال طريق خراسان وقبض على عمال السلطان وجبي المالَ بعسفٍ وخبطٍ وظلم وتهور وكان الوقت قريبا من الافتتاح . فلما اشتدت شوكتُهُ شخص محمد بن ياقوت من بغداد في سائر الجيوش بالحضرة ونزل في المضارب بنهربين واستظهر بانفاذ أبي جعفر محمد بن شيرزاد دفعةً ثانيةً برسالة جميلة ووعدهُ ان يوافقه على عدّة الرجال الذين يتقرر الامر معه على كونهم في جملته وينظر في جرائدهم وأرزاقهم لسنة خراجية فان وفى مالُ أعماله بماله ومالهم رجع الى الدينور والاّ سبّب له بالباقي على أعمال طساسيج النهروانات ونفذ اليه بهذه الرسالة يوم الاثنين . وقد وقعت طلائع عسكر هرون على طلائع عسكر محمد بن ياقوت وأصحاب هرون هم المستظهرون وكثر مضيُّ الجند من عسكر محمد ابن ياقوت الى هرون بن غريب مستأمنة اليه فتبين أبو جعفر من هرون انه اتّهمهُ بالميل الى محمد بن ياقوت وابن مقلة فلما رأى منه ذلك استأذنه في الانصراف بالجواب فقال : اني أخاف عليك[٤٧٧] منه ان يعتقلك وانما بيننا وبين الوقعة وانكشاف الامر بيننا ليلةٌ واحدةٌ

فلما كان في يوم الثلثاء لستّ بقين من جمادى الآخرة تزاحف العسكران وكان المبدأ من أصحاب هرون واشتدّ القتال واستظهر أصحاب هرون لان عددهم أضعاف عدد ابن ياقوت وانهزم أكثر أصحاب ابن ياقوت وقطعة من الغلمان الحجرية ونهب أصحاب هرون أكثر سواد ابن ياقوت ونكسوهم عن دوابهم وأثخنوا فيهم الجراحات وقتلوا منهم عدّة فركب حينئذ محمد بن ياقوت وسار حتى عبر قنطرة نهربين . ولم تزل الحرب غليظة الى ان قارب انتصاف النهار وركب هرون بن غريب مبادرا وسار منفردا عن أصحابه على شاطئ نهربين يُريد قنطرتهُ لما بلغه ان ابن ياقوت قد عبر القنطرة وقدّر انه يقتله أو يأسرهُ فتقطر به فرسهُ فسقط منه في ساقيه فلحقهُ يمن غلامهُ فضربه حتى أثخنه بالطبرزينات ثم سلّ سيفهُ ليذبحهُ فقال له هرون: ياعبد السوء أنت تفعل هذا وتتولى بيدك قتلي ! أي شيء أذنبتُ به اليك ؟ فقال له : نعم أنا أفعلُ بك هذا . وحزّ رأسه ورفعه وكبر فتبدّد رجال هرون ودخل بعضهم من طرُق أخر الى بغداد ونُهب سواد هرون وأصحابه وأسر قوم (٤٧٨) وسار محمد بن ياقوت الى موضع جثة هرون فامر بحملها الى مصر به فحملت وأمر بتكفينه ودفنه وأنفذ بمن يحفظ دار هرون من النهب ودخل بغداد وبين يديه رأس هرون وعدّة من قوّاده فأمر الراضي بنصب الرؤس على باب العامة (١) وخلع على ابن ياقوت وطوّق وسوّر

﴿ ودخلت سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها قلد الراضي ابنيه الامير أبا جعفر وأبا الفضل المشرق والمغرب

(١) وفي الاوراق : فجيء برأسه الى الراضي فاظهر سرورا بذلك وسلمه الى أهله فدفن بقرب قبر أبيه في قصر عيسى بن علي في الكرخ في الجانب الغربي

واستكتب لهما أبا الحسين على بن أبي على بن مقلة وخلع على أبي الحسين لذلك يوم الاثنين لخمس خلون من المحرّم واستخلف أبو الحسين على كتابتهما أبا الحسن سعيد بن عمرو بن ستجلا وكتبت به الكتب [1]

وفيها ورد الخبرُ ببغداد بان غلمان مرداويج بن زيار الجيلى قتلوه فى الحمام باصبهان . فتبجح محمد بن ياقوت وزعم أن التدبير فى ذلك كان له وانه كاتبَ غلاماً كان له واستأمن الى مرداويج بضعة عشر كتابا مع فيوج ذكرهم وسماهم من حيث لايعلمُ أحد وأظهر كتبا من الغلام اليه فى هذا المعنى وأنشأ كتبا قرىء بعضها فى المسجد الجامع بهذا الخبر والشرح وكتب الى أصحاب الاطراف وأعلمهم [٤٧٩] أن التدبير كان له وكل ذلك كذبٌ فانا سمعنا من شرح الصورة ما اقتضاه الامر من أوّله الى آخره ما نعلم انه لم يكن من تدبير بشرىّ

﴿ ذكر السبب فى قتل مرداويج ﴾

﴿ قال الاستاذ أبو على أحمد بن محمد مسكويه أدام الله نعمته ﴾

حدثني الاستاذ الرئيس حقا أبو الفضل ابن العميد رحمه الله انه لما حضرت ليلة الوقود التى تعرف بالسذق [2] كان يقدم مرداويج قبل ذلك بمدة طويلة أن تجمع له الاحطاب من الجبال والنواحى البعيدة وان ينقل له فى الوادى المعروف بزَرين رُوذ وما قرب من الغياض والمحتطب فكان يجمع ذلك من كل وجهٍ . وأمر بجمع النفط والنفاطين والزرّاقات ومن يحسن معالجتها واللعب بها وتقدم باعداد الشموع العظام المجلّسة ولم يبق جبل مشرف على جرّين

(١) وقال فيه أيضا أبو بكر الصولى: ما رأيت أحدا قط ملك من حسن رأى صاحبه ما ملك ابن سنكلا من الراضى (٢) معرب وهو بالفارسية (سده)

اصبهان ولا تلّ ظاهر الا عبّيت عليه الاحطاب والشوك وعمل على مسافة بعيدة من مجلسه بحيث لا يمكن أن يتأذى بالوقود كهيئة تصور عظيمة من الأجذاع وضُبّبت بالحديد الكثير حتى تماسكت . وحشيت بالشوك والقصب وصيدت له الغربان والجدأ وعلق [١٨] بمناقيرها وأرجلها الجوز المحشو مشاقة ونفطا . وعمل بمجلسه الخاصّ تماثيل من الشمع وأساطين عظام منه لم ير مثلها ليكون الوقود فى ساعة واحدة على الجبال ورؤس اليفاعات وفى الصحراء وفى المجلس على الطيور التي تطلق . ثم عمل له سماطٌ عظيم فى الصحراء التى تبرز اليها من داره وجمع فيه من الحيوانات والبقر والغنم ألوف كثيرة وزيّن واحتشد له بما لم تجر العادة بمثله . فلما فرغ من جميع ذلك وضربت مضاربهُ قريبا من السماط وحضر الوقت الذى ينبغى أن يجلس فيه مع القوم للطعام ثم للشرب خرج من منزله وطاف على سماطه وعلى الآلات التى ذكرتها للوقود فاستحقرها كلها واستصغر شأنها (قال) وذلك لاجل سعة الصحراء ولان البصر اذا امتد فى فضاء واسع ثم انقلب عنه الى هذه الاشياء المصنوعة استحقرها وان كانت عظيمة. فاغتاظ وتداخله من النخوة والجبرية ما سكت معه ولم يتكلم بحرف ودخل الى خركاه فى خيمة عظيمة واضطجع ثم حوّل وجهه الى خلاف الباب والتفّ بكسائه لئلا يكلمه أحد. واجتمع الامراء والكبار والقوّاد وسائر الجند والنظّارة ولم يجسر على خطابه أحد ولا علي [١٨٢] تحريكه وأبطأ على الناس خروجه حتى فات الوقت . وأخذ الناس فى الارجاف به فتحدثوا سراً وهمساً وخيفت الفتنة فحينئذ مشى العميد حول الخركاه ودمدم بكلامه المقتضى للجواب فلم يتكلم بحرف ولم يزل يداري فى الكلام و يدعوا له الى ان اضطره الى الجلوس ثم دخل اليه فقال:

أيها الامير ماهذا الكسل فى وقت النشاط وحضور الاولياء وفرح الصديق وانخزال العدوّ ؟ فقال : يا أبا عبد الله وأى نشاط يحضرنى مع الاستخفاف والاستهانة وقصور الامر ! والله لقد افتضحتُ فضيحة لا يغسلها عنى شيء أبدا . قال العميد : ودهشت ساعةً ثم قلت : أيها الامير وما ذلك؟ فقال : أما ترى نزارة ما أمرت به من الاستكثار منه وقلّتُه ووتاحتَهُ من الطعام والبساط ثم من جميع آلات الوقود والاشياء المتصلة بها . فقلت : والله أيها الامير لقد عمل من هذه الاشياء مالم يسمع بمثله فضلا عن أن يُرى فقم الى مجلس أنسك وعاود النظر . فأبى ولجّ الى ان قلتُ : فان الاعداء يرجفون بكيت وكيت فاتق الله اركب وطف طوفةً لتزول الاراجيف ثم اعمل ما بدا لك فانا سنعتذر عنك . فزادَهُ ما حكيتهُ له من (١٨٢) أراجيف الناس به غيظا وحنقاً ثم قام فركب كارهاً متحاملاً وطاف مغضباً مغتاظاً بقدر ما رآه الناس وانصرف الى موضعه ولزم حالته الاولى . وجمع الناس الذين دُعوا على خبطٍ فابى أكثرهم وانصرف من كان حاضراً وقالوا : لا نأمن الا يأنس الامير .

وبقى فى معسكره ثلاثاً لا يظهر ولا يرى الا انه يعلمُ انه حاصلٌ فى قصر أبى على ابن رستم . فلما كان اليوم الثالث تقدّم باسراج الدواب ليعود من جرين الى داره وهى التى كانت لابى على ابن رستم بالمدينة ولها باب الى الصحراء وباب الى المدينة فأسرج الغلمان واجتمعوا بالباب وذلك بعد الظهر فنعس نعسة ونام فأبطأ ودخل وقت العصر واتفق ان شغبت دوابّ الغلمان وارتفعت أصواتها وأصوات من يزجرها ولم يمكن أن يفرق بينها لازدحامها بالباب ولأن أكثرها بأيدى غلمان الغلمان ينتظرون ركوب الامير

فركب الغلمان بركوبه . فانتبه مرداويج مذعورا لما كان فى نفسه من اقدام الناس عليه بالاراجيف وسأل من يليه عن السبب فلم يعرفوا صورة الامر فقام بنفسه واطلع على الدواب والشاكرية واذا هم باسرهم يصيحون لزجر الدواب والدواب قد سقط بعضها على بعض ولها[٤٨٣] أصوات هائلة منكرة فارتاع ساعة حتى عرف حقيقة الامر ثم سكن فسأل عن أصحاب الدواب فقيل « هم الغلمان الاتراك » فأمر أن تحط السروج عن ظهور الدواب وتُجعل على ظهور الغلمان مع جميع آلتها ويدفع الدواب بأرسانها اليهم ليقودوها بانفسهم الى الاصطبلات ففعلوا ذلك وكانت صورة قبيحة يتطيّر من مثلها ويتشأم بها . ثم ركب هو بنفسه مع خاصته وهو يتوعد الغلمان حتى صار الى منزله قرب العشاء وكانت طشة من مطرة بلته فلما دخل دارهُ كانت كالخالية ليس فيها الا صبيان الاصاغر وخادم اسود كان أستاذ أولئك الغلمان فدخل الحمام بغير ثيابه . وقد كان قبل ذلك بطش بغلمان أتراك كبار فقدوه ولكن لم يكونوا يجدون أعوانا فلما فعل بالجماعة ما فعل اغتنموا الصورة وانتهزوا الفرصة وقال بعضهم لبعض : ما وجهُ صبرنا على هذا الشيطان . فاتفقوا على الفتك به [١] ولما دخل الحمام سألوا الغلام الذي يلي

---

(١) وفى الاوراق : وكان السبب في قتل مرداويج انه جعل عسكره صنفين صنف منهم جيل وديلم وهم خواصه وأهل بلده والذين فتح بهم الري ونواحيها ومنهم صنف الاتراك وأهل خراسان . ثم استخص نفراً من الاتراك فوجد الديلم من ذلك وعاتبوه عليه فقال : انما اتخذت الاتراك لاقيكم بهم وأقدمهم يحاربون بين أيديكم واني آخذكم خاصتي وانا بكم ولكم : فبلغ ذلك الاتراك فاجتمع رأيهم على قتله فتصوا الغلمان الصغار الذين فى خدمته ووكدوا عليهم بالتركية أن يفتكوا به فقتلوه في حمام .

خدمته فى الحمام الا يحمل معه سلاحه (وكان رسمه ان يدخل معه الى الحمام دشتيا ملفوفا فى منديل) فقال الغلام: لا أجسر ان أتقدم بين يديه وليس معى الدشتى. فاتفقوا على ان يكسروا حديدته [٤٨٤] ويتركوا النصاب فى الجفن ثم يلف فى المنديل حتى لا ينكر الصورة ويتركه فى زاوية الحمام على الرسم. ثم هجم عليه جماعة والخادم الاسود جالس على كرسى بباب الحمام فلما رآهم ثار فى وجوههم وصاح بهم فضربه بعضهم بسيفه فاتقاه بيده فطاحت من الذراع وسقط وهجم القوم وارتفعت الضجة. فاحس مرداويج بالشر فبادر فسند الباب من داخل بسرير وكان يجلس عليه بعد ان طلب الدشتى فلم يجده ودفع الغلمان الباب فتعذر عليهم فصعد نفر منهم الى قبة الحمام فكسر الجامات ورموه بالنشاب فدخل البيت الحار وأخذ فى مداراتهم وضمن لهم كل جميل فكلمهم نهيوه ساعة ثم علموا ان الغاية التى بلغوها منه ليس يجوز ان يكون بعدها صلح فحمل بعضهم على ناحية الباب الذى وراءه السرير حتى كسروه ودخلوا عليه فشق بعضهم جوفه بسكين معه وضرب هو وجه بعضهم بكرنيب فضة فى يده فأثر فيه أثرا قبيحا وخرجوا من عنده وعندهم انه قد فرغوا منه فقال لهم رؤساؤهم الذين كانوا خارج الحمام: ما صنعتم؟ قالوا: شققنا جوفه. فقال أحدهم: عودوا اليه [٤٨٥] فخزوا رأسه. وانما فعلوا ذلك لانه كان اتفق فى تلك الايام ان بعض الفراشين فى الدار شق بطنه بجراحة فخيط الجرح وعولج فسلم فخافوا ان يجرى ذلك المجرى فخزوا رأسه.

وقيل انه لما عاودوه قد جمع حشوة بطنه وردها وقبض عليها بشماله وقاتل بكرنيبه ساعة حتى فرغ منه. فلما طرحوا رأسه فى الدار بادروا الى الاصطبلات فاسرجوا الدواب وأوكفوا البغال واحتملوا من الخزائن

ما أمكنهم من المال والسلاح ورحلوا .

وفي خلال ذلك تهيأ لبعض من في الدار تسوّر الحيطان فدخلوا المدينة وقد (جنّهم) الليل فخبّروا الجند والقوّاد بما جري وهم سكارى متفرقون واجتمع بعضهم وأوقدوا النيران وضربوا بالبوقات وأسرجوا الدواب وأخذوا السلاح وساروا الى الصحراء لينقلبوا الى الباب الذى منه المدخل فالى ان يفعلوا ذلك فاتهم الغلمان ولم يجدوا غير غليمة أصاغر لاذنب لهم فقتلوا منهم عدة ثم كفّوا عنهم . وخشى أهل الرأى من حشمه ان تنهب الخزائن فاشار العميد باحراقها وهدم البنيان عليها فسلم [٤٨٦] المال وأكثر الذخائر لان المتهمين حضروا والنار والدخان ثائرة فى الموضع فلم يصلوا الى شئ .

وكان ركن الدولة أبو على الحسن بن بويه رهينة عند مرداويج من جهة أخيه على بن بويه عماد الدولة فلما أحسّ بالصورة دارى الموكلين به وضمن لهم ضمانات كثيرة فساعدوه حتي هرب بعد ليلة من قتل مرداويج

اتفاق عجيب اتفق له فى هربه

لما خرج بقيوده الى الصحراء وجاس ليكسرها أقبلت بغال عليها (تبن) وعليها أصحابهُ فنكسهم وركب هو ومَن معهُ البغال وحثها حتي سلم وفات الطلب

فأما الاتراك فافترقوا فرقتين أما فرقة فسلكوا نحو فارس مستأمنين الى على بن بويه (وفيهم خجخج الذى سمله توزون لما ملك العراق) وأما فرقة فسلكت الجبل وهى الاكثر عددا وفيهم بجكم الذى ملك الامر بالعراق وتقلد أمارة الامراء بها فى أيام الراضي وسنذكر من أخباره ما يليق

بهذا الكتاب [1] فاما ما جري عليه أمر أصحاب مرداويج فان أبا مخلد كان يتحدث وكان من خدم مرداويج وصاحب دولته ان تابوت مرداويج حمل الى الري قال: [487] فما رأيت يوما أعظم من اليوم الذى دخل فيه تابوته الريّ وذلك ان الجيل والديلم باجمعهم ساروا مشاةً حفاةً معه أربعة فراسخ. وذكر انه كان أخوه وشمكير ماشيا معهم ثم مضوا من اصبهان على مكبرة أبيهم معه الى الريّ وكان الناس لا يشكون أنهم يستأمنون الى على بن بويه. فبطل هذا الظن وقال: لم أر قط عسكرا هلك صاحبهُ فوفى له رجالهُ وجندهُ بغير درهم ولا دينار ذلك الوفاء فانهم صاروا الى أخيه وشمكير على هذه الحال. وعرف شيرج ان اصبهان خالية وكان بالاهواز من قبله فسار للوقت الى عسكر مكرم وستر الخبر وكان بها هرجام الجيلي فأسرّ اليه بالخبر وأخذه معه ثم سار الى تستر وبها جيليّ وكان وجها كبيرا فحدثهُ وأخذهُ معه وقصد جند يسابور وبها اسمعيل الجيلي وكل واحد من هؤلاء نظير لشيرج فاطلعه على الامر وسار بمسيره فصارت الجماعة الى السوس وبها عبد الله بن وهبان القصباني البصري عامل كور الاهواز من قبل مرداويج والشابشتي الحاجب وكان ثقة مرداويج وكان رتبهم مرداويج على ما ذكر أبو مخلد على ان يتوجه [488] شيرج الى واسط ثم الى بغداد وكان مرداويج ينتظر خروج الشتاء في سنة ٣٢٣ فيقصد أرجان أولا ثم يناجز علي بن بويه فاذا فرغ منه عدل الى الاهواز ثم منها الى السوس وينفذ معظم خيله الى شيرج ليتقدمه الى واسط وكان في نفسه ان يملك بغداد ويعقد التاج على رأسه ويعيد ملك الفرس فعوجل

(١) وفي الاوراق ان الاتراك الذين قتلوا مرداويج اضطربوا وقالوا نجعل علينا رئيساً فرضوا بيجكم. وانه صار والغلمان الذين معه الي ابن رائق فقبله أحسن قبول

بالقتل . فسار عسكره كله كما ذكرنا مع شيرج والشابشتي وابن وهبان من السوس الى الرى على طريق شابرخواست والكرج يريدون وشمكير أخاهُ ما عارضهم معارض ولا أقدم أحد على منابذتهم والافساد عليهم ولما حصلوا بها بايعوه . واستوزر وشمكير ابن وهبان وشكر له حسن تصرفه لاخيه بالاهواز

وكان مرداويج يوم قلّدهُ الاهواز أرزقه الفي دينار فى الشهر وقال له : ان نصحتَ وأديت الامانةَ استوزرتكَ بالحضرة ونصبت الرايات بين يديك الى باب نصيبين وان خنتنى وشرهت نفسك فان كركرتك كبيرة ومعدتك عظيمة والحلاوات بالاهواز كثيرةٌ فهذا دشنى ترى انبساطه وحدّهُ والله لاشقنّ به بطنك هذه[٤٨٩] الكبيرة . فقال له : ستعلم أيها الامير كيف انصح وأؤدى الامانة وانى مستحق لاصطناعك . وكان هذا الرجل من أهل البصرة وله أبٌ قصباني وانما تقلّد فى أيام ابن الخال همذان فلما انهزم ابن الخال من وقعة مرداويج وقصد الحضرة لانتزاع الرياسة من محمد بن ياقوت وجرى عليه ماجرى حصل مرداويج بهمذان ووقع فى يده ابن وهبان فعفا عنه واستعملهُ فنفق عليه . وكانت كتُب مرداويج ترد على ابن وهبان ان يُعِدّ له ايوان كسرى منزلا اذا تقدمه الى الحضرة ويمرهُ ويعيده كهيئته قبل الاسلام وانه معتقد للمقام بواسط الى أن يُستتمّ ذلك وأنه يراه وشيرج مع من معهما اكفاء لِمن بالحضرة من ابن ياقوت والحجرية والساجية وسائر الأصناف وأنه مُستغن عن ان يلقاهم بنفسه . وكان قد صاغ تاجاً عظيما ورصّعهُ بالجوهر[١] وذكر أبو مخلد انه

(١) وزاد الصولى فى الاوراق أنه قال : أنا أردّ دولة العجم وأبطل دولة العرب

رآهُ قبل الحادثة بأيام جالساً على سرير ذهب قد جعل عليه منصةٌ عظيمة وتفرّد بالجلوس عليه وجعل دونه سريرَ فضةٍ وعليه فرش مبسوط ودون ذلك كراسي كبارٌ مذهبة [٤٩٠] وغير ذلك ليرتّب أصحاب الاوزار مراتبهم في الاجلاس قال : وكان الكافة من الناس بالبعد قياماً ينظرون اليه ما ينطقون الا همساً اعظاماً له واكباراً لقدره .

وفيها وقع بين أصحاب ياقوت ومحمد بن رائق شر فاقتتلوا وقتل بينهم خلق

﴿ وفيها قبض على المظفّر ومحمد ابني ياقوت بتدبير ابى علي بن مقلة ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

كان السبب في ذلك ان أبا علي كان قلقاً من غلبة محمد بن ياقوت على دير الأمور ونظره في جباية الأموال وحضور أصحاب الدواوين مجلسه وتفرده بما يعملهُ الوزراء وعطلته هو الى أن تمّ تدبيره عليه . فلما كان يوم الاثنين لستّ خلون من جمادى الاولى ركب القواد الى دار السلطان على رسمهم في أيام المواكب وحضر الوزير أبو علي ابن مقلة وأظهر الراضي أنه يريد أن يقلد جماعة من القواد عدّة نواح من المملكة. ويخلع عليهم وحضر محمد بن ياقوت للخدمة وأبو اسحق القراريطي كاتبه معه وجلسوا على رسمهم في الصحن التسعيني ثم خرج الخدم الى محمد بن ياقوت فعرفوه ان الخليفة يطلبه فقام مبادراً [٤٩١] فلما دخل عدل به الى حجرة قد أعدّت له وأخذ سيفه ومنطقته ووكل به ثم خرج الخدم الى أبي اسحق القراريطي فعرفوه ان صاحبه يطلبه فلما دخل عدل به الى حجرة أخرى وحبس ووجه بقوم الى دار المظفّر بن ياقوت فقبض عليه وحمل الى دار السلطان وحبس مع أخيه وكان وجد قريباً من السكر لانه كان يشرب. ونفذت حيلة الوزير

أبي علي عليهم وتقدم الى الغلمان الحجريّة والساجيّة أن يصيروا الى دار السلطان وأن يضربوا مضاربهم فى بابي الخاصّة والعامّة ليحفظوا الدار . وأمر مُفلح الاسود [١] أن يصير الى دار محمد بن ياقوت ... [٢] وخلع عليه . وسلم القراريطى الى الوزير أبي علي فأخذ خطه بخمسمائة الف دينار ثم تقرر أمره على ثلاثة آلاف الف درهم [٣]

وانحدر ياقوت من واسط الى السوس بجميع أصحابه وكتب الى الراضى بالله كتاباً فى أمر ابنيه يستعطفه فيه لهما ويرقق قلبه عليهما ويسئله الاحسان اليهما وتجديد الصنيعة عندهما وعنده فيهما وان يلحقهما ليعاوناه على أمره ويكونان معه فى حروبه

ولما زال أمر محمد بن ياقوت وتفرد أبو علي بالتدبير استخلف ابنه أبا الحسين [٤٦٢] على جميع الدواوين والأعمال وصارت مكاتبة جميع أصحاب الدواوين له وانفاذهم الاعمال اليه فصار يعزل ويولى ويحل ويعقد . وصار اليه أبو عبد الله احمد بن علي الكوفى وطرح نفسه عليه وارتسم بكتابته وكان يكتب

---

(١) قال صاحب التكملة فى ترجمة سنة ٣٥٦ : فى ذى الحجة توفي مفلح الاسود خادم المقتدر بالله بمصر (٢) سقط بعض الألفاظ من الأصل (٣) قال أبو بكر الصولى في الأوراق : وقبض على نجاح كاتب ابن ياقوت على الجيش . فقبض من ابن ياقوت على رجل كامل فى العقل وعلم وشجاعة وصيانة وعفاف واجتمع الحجرية والساجية وقالوا : لانرى أن يكون بدر الخرشني والياً شرطة بغداد . فسفر بينهم وبين بدر ورفق بهما حتى رضوا به . وبلغ السلطان ان أبا الفتح (المظفر) بن ياقوت يضرب الحجرية والساجية على الراضى ليفتكوا به وتوقع البيعة لبعض اخوته فقبض عليه وهو بين يديه يخاطبه ووكل بدوره فلم تنهب وحمل ما فيها ليلا الى دار السلطان . وخلع الراضى على غلامه ذكي للحجبة يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادي الاولى . وغضب صفار الحجرية لابن ياقوت وقالوا : يناظر بحضرتنا فان وجد عليه شيء والا أطلق . فداروهم حتى سكنوا

لأبي اسحق القراريطي وكان مستولياً عليه فقبله أبو علي واختص به وبابنه.

وشغب الجند وطالبوا بأرزاقهم وصاروا الى دار الوزير أبي علي ونهبوا اصطبلاته وأخذوا من بابه من كان في مجلسه ونكسوا جماعة ممن لقيهم من الكتاب عن دوابهم وأخذوها منهم فاطلق لهم أرزاقهم وسكنوا

وفيها قوي أمر أبي عبد الله البريدي واستفحل أمره

﴿ ذكر أسباب ذلك ﴾

كان أبو عبد الله البريدي ضامناً أعمال الخراج والضياع بالاهواز فلما وافاها شيرج بن ليلى الديلمي من قبل مرداويج خرج الى البصرة بعد هزيمة ياقوت وغلامه مونس كما كتبناه فيما قبل واقام يدبر أسافل الاهواز الى ان قرر له محمد كتابة ابنه فخرج معه الى واسط. فبينما هو معه يدبر أمره اذ ورد بالقبض (٤٩٣) على محمد والمظفر ابني ياقوت فارتاع ياقوت من ذلك ارتياعاً شديداً. وكتب أبو علي ابن مقلة الى أبي عبد الله البريدي أن يسكنه ويعرفه ان الجند اضطربوا وتطيروا لهما وشغبوا مراراً «كما بلغك» ثم أرسلوا للخليفة بأنه ان لم يقبض عليهما أحدثوا في الملك حادثة عظيمة واضطر الى أن يرضيهم بما أمضاه فيهما وأنه يتلافى أمرهما عن قرب وينفذهما اليه وان الرأي أن يبادر هو لفتح فارس. فخرج ياقوت من واسط على طريق السوس الى عسكر مكرم وأخرج أبو عبد الله البريدي معه أبا الحسن ابن حميد البصري ليخلفه على كتابته وكان صنيعته وأخرج أبا زكريا يحيى بن سعيد السوسنجردي لخدمته في بلده فدخل ياقوت عسكر مكرم وهما معه ثم وافى أبو عبد الله البريدي من طريق الماء الى الاهواز وورد بعده أبو يوسف أخوه وكان اليه السوس وجنديسابور شركة بينه وبين

أخيه أبي الحسين . وادّعيا ان مال سنة ٣٢٢ احتمله شيرج بن ليلى وان النواحي معطّلة الارتفاع فى السنة التى بعدها فانفذ أبو على ابن مقلة ابن عينويه لكشف ذلك [٤٩٤] وطابقهما وكتب يصدقهما

فكانت هذه الفتنة نعمة على أبي عبد الله وأبي يوسف البريديين فانه تحصّل لهما بها ومما بعدها الى وقت انهزامهما من الاهواز على ماحدّث به أبو الفرج ابن أبي هشام أربعة آلاف الف دينار خرجا بها على السلطان . ثم قصدا عسكر مكرم للاجتماع مع ياقوت فوافياها وتلقاهما فى الموضع المعروف بفوهة النهرين وسيّراهُ الى ارجان لفتح فارس

وفيها خرج توقيع الراضى بالله بان تكون المخاطبة والمكاتبة من جميع الناس لابى الحسين على بن محمد بن مقلة بالوزارة وكان سنُّه اذ ذاك ثمانى عشرة سنة وان يكون الناظر فى الامور صغيرها وكبيرها وتقدم الى جميع أصحاب الدواوين بذلك وخلع على أبى الحسين خلع الوزارة وخوطب بها وحمل على شهرى وانصرف من دار السلطان على الظهر ومعه القوّاد والجيش والخدم وأصحاب الدواوين . وانصرف أبو على فى طيارة الى منزله وصار اليه ابنه بالخلع وطُرح له مصلّى فى مجلس أبيه ودخل الناس معه وهنئوا أبا على وأنشده الشعراء وأمر ابو الحسين ونهى ووقع [٤٩٥] وصار طرحُ المصلى فى مجلس أبيه رسما له . وخرج رسم أبيه الى جميع أصحاب الدواوين الاّ ينفذوا توقيعا له الا بعد عرضهم اياه على ابنه أبى الحسين واستئماره فيه وأخذ توقيعهُ بخطّه فيه بامتثاله .

وشغب الفرسان شغبا بعد شغب وكانوا يأخذون دواب الناس من باب الوزير

وفيها ركب بدر الخرشني فنادى فى جانبي بغداد فى أصحاب أبي محمد البربهارى الحنبلية الايجتمع منهم نفسان فى موضع واحد وحبس جماعة منهم واستتر البربهارى وكان سبب ذلك كثرة تشرُّطهم على الناس وإيقاعهم الفتن المتصلة . وخرج توقيع الراضى بالله الى الحنبليين بما نسختهُ :

(بسم الله الرحمن الرحيم) من نافق باظهار الدين وتوثب على المسلمين وأكل به أموال المعاهدين كان قريبا من سخط رب العالمين وغضب الله وهو من الضالين . وقد تأمل أمير المؤمنين أمر جماعتكم وكشفت له الخبرة عن مذهب صاحبكم (١) زُيّن لحزبه المحظور ويُدلّي لهم حبل الغرور. فمن ذلك تشاغلكم بالكلام فى ربّ العزّة تباركت أسماؤه وفى نبيه والعرش (٤٩٦) والكرسىّ وطعنكم على خيار الامّة ونسبكم شيعة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكفر والضلال وارصادهم بالمكاره فى الطرقات والمحال. ثم استدعاؤكم المسلمين الى الدين بالبدع الظاهرة والمذاهب الفاجرة التى لا يشهد بها القرآن ولا يقتضيها فرائض الرحمن وانكاركم زيارة قبور الأئمة صلوات الله عليهم وتشنيعكم على زوّارها بالابتداع . وانكم مع انكاركم ذلك تتلفقون وتجتمعون لقصد رجل من العوامّ ليس بذى شرف ولا نسب ولا سبب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرون بزيارة قبره والخشوع لدى تربته والتضرّع عند حفرته فلعن الله ربًّا حملكم على هذه المنكرات ما أرداهُ وشيطانا زيّنها لكم ما أغراهُ . وأمير المؤمنين يقسم الله قسما جهد اليّة يلزمه الوفاء به لئن لم تنصرفوا عن مذموم مذهبكم ومعوّج طريقتكم ليوسعنكم ضربا وتشريدا وقتلا وتبديدا ويستعملنّ السيف فى

(١) بياض في الاصل

رقابكم والنار فى محالّكم ومنازلكم فليبلغ الشاهد منكم الغائب فقد (٤٩٧) أعذر من أنذر وما توفيق أمير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل واليه ينيب .

وفيها شغب الجند وصاروا الى دار الوزير فوقع النهب فى خزانة له فيها زجاج مخروط وبلور وصيني وغير ذلك فدخلوا الدار وشغبوا فيها وخرج الوزيران عن دُورهما وصارا الى الجانب الغربى . وكان الوزير أبو على نفى الخصيبي وسليمان بن الحسن الى عُمان وكاتب صاحب عمان بحبسهما والتضييق عليهما فاطلقهما ووردا بغداد مستترين فورد على الوزير من ذلك ما أقلقهُ وكبس عليهما عدّة مواضع فلم يظفر بهما (١)

﴿ وفيها قتل الحسن بن عبد الله بن حمدان عمّهُ أبا العلاء سعيد ﴾

﴿ ابن حمدان وخرج لذلك أبو على ابن مقلة الى الموصل ﴾

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان أبو العلاء شرع فى تضمن الموصل وديار ربيعة فضُمن ذلك سرّاً

(١) قال فيه صاحب التكملة : وكان ابن مقلة قد أحدر الخصيبي وسليمان بن الحسن الى البصرة وأمر البريدى بنفيهما في البحر فجن بهما الليلة فكادا يغرقان وأيسا من الحياة فقال الخصيبي : اللهم انى أستغفرك من كل ذنب وخطيئة وأتوب اليك من معاودة معاصيك الا من مكروه أبي على ابي مقلة ان قدرت عليه جازيته عن ليلتى هذه وما حل بى منه فيها وتناهيت في الاساءة اليه . فقال سليمان : فى هذا الموضع وأنت معاين للهلاك تقول هذا ! فقال : ما كنت لاخدع ربي . ولما صارا الى عمان عدل بالخصيبي الى سرنديب فعرف سليمان بن الحسن ابن وجيه خبره فامر برده الى عمان

ولما عزل الراضى ابن مقلة وولى عبد الرحمن بن عيسى ضمن الخصيبي ابن مقلة فلما رآه تلفت نفسه فاسمعه الخصيبي نهاية ما كره وسلمه الى الدستوائى (وكان لابن مقلة اليه اساءة لانه سلمه الى بنى البريدى حتى أزالوا نعمته) فعمل الدستوائي بابن مقلة صنوف المكاره وجاء أبو بكر ابن قرابة فضمن عنه مائة الف دينار والفى دينار ودفعت الضرورة الى ان وزن ابن قرابة المال من عنده

وخلع عليه وأظهر انه ينفذ الى الموصل لموافقة ابن أخيه أبي محمد [1] على ماعليه من مال الضمان ومطالبته بحمله وشخص فى نحو خمسين غلاما من غلمانه فدخل الموصل . وعرف ابن أخيه خبر موافاته [٤٩٨] فخرج نحوه مظهرا لتلقيه واعتمد ان يخالفه الطريق فلا يراه ومضى أبو العلاء الى دار أبي محمد فنزلها وسأل عن خبره فعرّف انه خرج ليتلقاهُ فجلس ينتظره . فلما علم أبو محمد ان عمهُ قد حصل فى داره وجه بغلمانه فدخلوا الى ابي العلاء الى البيت الذى كان فيه فقبضوا عليه وقيدوهُ ثم وجّه بقوم علوهُ باسيافهم وقتلوهُ ولم يقع بينه وبين ابن أخيه لقاء وورد الخبر بذلك الى الراضي فانكره وتقدم الى الوزير أبي علي بالتأهب للخروج الى الموصل والايقاع بالحسن بن عبدالله بن حمدان والنائب عنه بالحضرة .

فذكر ان علي بن عيسى كتب الى الحسين بن عبد الله بن حمدان يخطه عن أمير المؤمنين الراضى بالله بالانفراج عن ضمانه وألا يحمل شيئا الى الحضرة من ماله وان يمنع من حمل الميرة الى بغداد فأخذ أبو علي ابن مقلة خطهُ بذلك وأحضر جماعة من الشهود حتى شهدوا عليه . وسلم الوزير الكتاب الى ابن سنجلا ليعرضه على الراضى بالله فلما كان من غد وهو يوم الاربعاء انحدر الوزير أبو علي الى دار السلطان وانصرف الى منزله . فوجه الراضى براغب وبشرى خادميه الى علي بن عيسى فحملاهُ الى الوزير [٤٩٩] أبي علي فلم يوصله اليه واعتقله فى حجرة من داره وراسله علي بن أحمد بن علي النوبختى وعرّفه ما أشهد به سهل بن هاشم على نفسه وان الخليفة أنكر فعله وما زالت المراسلات تتردد بينهما الى ان ألزمه أبو علي مصادرة خمسين الف دينار على أن يجعل فى

(١) يعني ناصر الدولة الحسن بن عبدالله بن حمدان

باب أبي جعفر بن شيرزاد صاحب ديوان النفقات للاتراك عشرة آلاف دينار وتؤخذ منه عقار وضياع بعشرة آلاف دينار فالتزم أبو الحسن ذلك

فيقال ان طالباً الهاشمي كان قال لعلي [1] بن عيسى عن الراضي بالله أن يكاتب الحسن بن عبد الله عنه ويتوسط بينهما على أن يحمل اليه سرا سبعين الف دينار في نجوم وشرط عليه الحسين أن يحميهُ ويمنع منه ومن تشعيث أمره ويقرّره على ضمانه ولا يقبل زيادة عليه فحمل بعض تلك النجوم وأخر باقيها . وأنكر الخليفة كل ما جرى في هذا الباب وذكر انه لم يصل اليه شيء [2]

وأخرج مضرب الوزير أبي علي وخرج على مقدمته نقيط الصغير وابن بدر الشرابي وجماعة من الحجرية وغيرهم وخلّف ابنه الوزير أبا الحسين بالحضرة في خدمة السلطان وتدبير الامور . وقبل شخوصه أطلق [٥٠٠] أبا الحسن علي بن عيسى وأخرجه الى ضيعته بالصافية وأحلفه على أنه لا يسعى في مكروهه ولا يتكلم فيه بما يقدح في حاله ولا فيما يفسد أمره ولا يسعى في الوزارة لنفسه ولا لغيره من سائر الناس فحلف وخرج من وقته الى الصافية [3]

---

(١) وفي الاصل : لعيسى . (٢) وقال أبو بكر الصولي في الاوراق : وكان الاصل في هذا ان الراضي زعم ان ابن حمدان الحسن وجه اليه بخمسة آلاف دينار على يد ابن طليب الهاشمي ليوصلها الى الراضي فلم يفعل ذلك . وكان الراضي بعد نكبة علي ابن عيسى يحلف ان علياً احتال لخمسة آلاف فكنت أقول له : لو تأمل سيدنا هذا من أين وقع وان علياً لا يعدّ عينه الى خمسة آلاف دينار وهو أبعد الناس من هذا . وكنت أحدثه عنه بما أقدر ازالة ما وقع بقلبه فلا يقبل الى ان ضرني ذلك عنده . وسعى بي قوم من الجلساء الى الوزير فانحرف عني بعد ميل وحرمني بعد عطاء

(٣) زاد فيه الصولي في الاوراق : فانتقل والله إلى الصافية جمال بغداد ومن لا يرى الناس مثله .

ولما قرب الوزير أبو علي من الموصل رحل عنها أبو محمد وتبعه الوزير الى ان صعد جبل التنين ودخل بلد الزوزان فعاد حينئذ أبو علي الى الموصل وأقام بها يستخرج مال البلد ويستسلف من التجار المجهزين للدقيق مالا على أن يطلق لهم به غلات البلد فاجتمع له من ذلك أربعمائة الف دينار . ولما طال مقام الوزير بالموصل احتال سهل بن هاشم كاتب أبي محمد بن حمدان فبذل للوزير أبي الحسين ابن الوزير أبي علي عشرة آلاف دينار حتى كتب الى أبيه بأن الامور بالحضرة قد اضطربت عليه وأنه متى تأخر وروده الحضرة لم يأمن حدوث حادثة يبطل بها أمرهم فانزعج الوزير من ذلك وقلد علي بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياع بالموصل وديار ربيعة وقلد أعمال المعاون بها ماكرد الديلمي من الساجية . وتقدم بتوفية التجار ما استسلفه منهم من المال وانحدر (٥٠١) الى الحضرة (١) وخرج لتلقيه الأمير أبو الفضل وأصحاب الدواوين والقواد ولقي الخليفة وانصرف الى منزله وخلع عليه من الغد وعلى ابنه خلع مُنادمة وحُمل اليهما ألطافٌ وشراب وطيب وبلور .

وكان الوزير أبو علي كتب الى الوزير ابنه قبل أن ينحدر من الموصل بازالة التوكيل عن أبي الحسن علي بن عيسى وان يكتب اليه أجمل خطاب ويُخيّرهُ بين الانصراف الى مدينة السلام وبين المقام بالصافية فكتب اليه الوزير أبو الحسين بذلك . وكان السبب فيما كتب به الوزير أبو علي من ذلك أنه كان كتب الى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان كتاباً يدعوه فيه

(١) وفيه أيضاً أنه أقام بالبردان لثلاث بقين من شوال لينقضي كسوف الشمس وكان لليلتين بقيتا من شوال ثم دخل في أول ذي الحجة

الى الطاعة ويبذل له الامان فقبل الكتاب وقال للرسول : ليس بيني وبين هذا الرجل عمل (يعني ابن مقلة) ولا أقبل ضمانه لانه لاعهد له ولا وفاء ولا ذمة ولا أسمع منه شيئاً اللهم الا أن يتوسط أبو الحسن علي بن عيسى بيني وبينه ويضمن لي عنه فاسكن الى ذلك وأقبلهُ .

وكان أبو عبد الله احمد بن على الكوفي مقيما بالحضرة فى وقت خروج أبي على ابن مقلة الى الموصل ويلزم مجلس الوزير أبي الحسين يظهر له النصيحة والموالاة ويجتهد (٥٠٣) فى التخلُّص منه والبعد عنه الى أن ورد كتاب أبي عبد الله البريدى يؤنس فيه من حمل مال الى الحضرة فى ذلك الوقت فغلظ على الوزير أبي الحسين ذلك لانه كان أعدّ ما يحمله لوجوه فاقرأ أبا عبدالله الكوفى كتاب البريدى فاستعظم ما فيه وأشار بأن يخرج هو الى الاهواز ليواقف البريدى على أمر الرجال الذين أحال بصرف المال اليهم ويعرضهم ويطلق مايجب لهم ثم يحمل الى الحضرة مالا عظيما ويحمل ساعة وصوله مائة الف دينار . فكتب الوزير أبو الحسين الى أبي عبد الله البريدى بأنه لا يقبل فى تأخُّر المال عنه عُذرَهُ وقد أحوجهُ الى انفاذ أبي عبد الله أحمد بن على الكوفى لمواقفته على أمر المال ومطالبته بحمله ونُفذ الكتاب وتبعه أحمد بن على الى الاهواز . فلما حصل عند أبي عبد الله البريدى لم يمكنه مخالفته على مايُريد وكتب أنه لم يتمكن من عرض الرجال ولا المواقفة على أمر المال وأقام عنده الى أن نظر أبو بكر ابن رائق فى الامور بالحضرة.

واستوحش أبو عبد الله الكوفى من البريدى وخافهُ وأزاد البعد منه وخاف بَوَادِرهُ فأطمعهُ فى إفساد أمر الحسين بن على النوبختى (٥٠٣) مع ابن رايق . وكان الحسين بن على من أعدى الناس للبريديين فقبل منه

وأطلقهُ ووافقهُ على مايعمل به وبذله من المال لازالة أمر الحسين بن على النوبختى. وكان أبو عبد الله الكوفي عند مقامه عند أبي عبد الله البريدى يُصغِّر فى نفسه أمر الحضرة ويَصف له ادبارها بسوء تدبير ابن مقلة وابطاله مال واسط والبصرة بابن رائق وبايقاعه بيني بافوت وما دبر فى أمر الحسن ابن عبد الله بن حمدان وباجتثاثه أصل الخلافة دفعة واحدة وقال فى ذلك وأكثر وقال في عرض ذلك: هوالذى جرّأ الغلمان الحجرية على ابن بافوت فهم بعد أشدّ جرأة عليه وان هلاكهُ ليس ببعد. فوقع ذلك من البريدى أحسن موقع واختصّ الكوفى ولم يستكتبه بل كان يشاوره ويكرمه ويعاشره.

فذكر أبو الفرج ابن أبي هشام ان أبا عبد الله الكوفى قال له بواسط فى أيام سيف الدولة: مامرّ لى عيش أطيب من عيشى مع البريدى فانى أقمتُ عنده نحو سنة غير متصرّف ولا داخل تحت تبعه ولا تعب بنظر فى عمل ولقد عاشرنى أجل عشرة ووصل الىّ منه عيناً وورقاً ومن (٥٠٤) قيمة العروض التى أنفذها الىّ خمسة وثلاثون الف دينار ولم أخرج من الاهواز الا وأنا متقلد كتابة ابن رائق. وقد كفيت أمر ابن مقلة بالقبض عليه وكان غير مأمون والحمد لله الذى لم يخرجه من الدنيا حتى دمر عليه كتدميره على الدنيا ألحق الله ابنه به فانه شرّ منه لان ما كان فى أبيه فهو فيه من وقاحة وقساوة وخسة وكان الاب على عيوبه ربما رحم وأكرمَ على حاشيته وأهل داره دون الغرباء ولكن هذا ناصر الدولة مجتهد في أن يغرّه ويحصّله وان حصل رجوتُ أن يسلمه فان فى نفسه عليه وعلى ابنه العظائم. وأطلق الكوفى لسانهُ بهذا كلّه في مجلسه وليس بين يديه غيرى وغير أبى على ابن صفية كاتبه النصرانى.

وأظهر أبو عبد الله البريدى بالاهواز كتاباً من أبى على ابن مقلة بخطه اليه يقول فيه : الويل للكوفى الغاضّ مني أنفذتهُ ليصلحك لى فافسدك علىّ وأطمعك وأصغيتَ بالشرَه اليه والله لاقطعنّ يديه ورجليه فأما أنت فأرجو ألا تُصرّ على كفر نعمتى واحسانى اليك وان تُنيب (٥٠٥) بك الروية الى رعاية حقوق اصطناعى لك فترضيني من نفسك وتعيننى فى مثل هذه الحالة الصعبة التى لم يدفع من جلس مجلسى فى دولة من الدُول الى مثلها وان تجبرنى مما قد أظلّنى بمال تحمله فتحفظ به نعمتيك التي أحداهما فى يدى والأخرى فى يدك ان شاء الله

ولما انحدر أبو على ابن مقلة من الموصل عاد أبو محمد عن الزوزان اليها وحارب ماكرد الديلمى (١) وانهزم الحسن بن عبدالله ثم عاود محاربته وكانت الوقعة بينهما على باب الروم من أبواب نصيبين فانهزم ماكرد الى الرقة وانحدر منها فى الفرات الى بغداد . وانحدر على بن خلف بن طناب وتمكن الحسن بن عبد الله من الموصل وديار ربيعة وكتب الى السلطان يسئل الصفح عنه وان يضمن نواحيه فأجيب الى ذلك وضمنها .

ووافى التجار الذين استسلف أبو على مالهم ولم يُوفوا الغلات التى ابتاعوها فطالبوا أبا على برد أموالهم عليهم فدفعته الضرورة الى ان يسبب لهم على عمّال السواد بعضَ مالهم ودافعهم ثم باع عليهم بالباقي ضياعا سلطانيّة . فلم يُحصل لخزَجته كبير فائدة بعد الذى رد على التجار (٥٠٦) وبعد الذى أنفق على سفره والجيش الخارج معه .

(١) وفي التكملة . الكردى

وفي هذه السنة حجّ الناس فلما بلغوا القادسيّة اعترضهم أبو طاهر القرمطي وكان مع الحاج من قبل السلطان لؤلؤ غلام المهتدي فظنّ لؤلؤ انهم أعراب فخاربهم أهل القوافل . . . . . شيأ كثيرا [1] وسأل عمر بن يحيى العلوي فيمن دخل القادسية فآمنهم ثم تسألوا من القادسية وبطل الحجّ في هذه السنة وصار أبو طاهر الى الكوفة وأقام بها

وفي تلك الليلة بعينها انقضت الكواكب من أول الليل الى آخره ببغداد والكوفة وما والاهما انقضاضاً مسرفا جداً لم يعهد مثله ولا ما يقاربهما

وشغب الجند وصاروا الى دار الوزير فنقبوا عدّة مواضع ولم يصلوا لان غلمان الوزير دفعوهم ورموهم بالنشاب من فوق السور

وفيها مات أبو بكر محمد بن ياقوت في الحبس في دار السلطان بنفث الدم فاحضر القاضي أبو الحسين عمر بن محمد ومعه جماعة وأخرج اليهم محمد بن

---

(١) الاصل ناقص وفي الاوراق : فلقيهم القرامطة يوم الاربعاء لاحدي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة بطيزناباذ فقاتلهم أشد قتال الى ان خذله (يعني لؤلؤ) أصحابه وأصابته بضربات فطرح نفسه مع القتلى ثم دب ليلة الخميس الى ان صار الى الكوفة . وكان من انقضاض الكواكب في ليلة الاربعاء التي قطع على الحاج في صبيحتها (فلم يفلت منهم أحد) مالم يعهد مثله بالكوفة وطيزناباذ موضع الوقعة وكان عندنا ببغداد من ذلك مالم ير مثله ولا سمعنا به قط . . . . . وكثر الضجيج ببغداد لما نال الحجاج ووثب العامة باصحاب المعاون في الطرق والمساجد ونال الراضي من ذلك أمر عظيم فصام أياما وكان يقول : لو كان لي مال كمال المكتفي حين فعل زكرويه بالحاج مافعل فطلبه بالجيش والاموال حتى قتله (طبري ٣ : ٢٢٦٩ — ٢٢٧٥) لما رضيت والله الى ان أخرج بنفسي الى البحرين ولكن ماحيلتي في جند مستخبثين قد ملكوا الامر دوني وعوز مال وانخراق هيبة ؟ الى الله أشتكي وبه أستنصر . والحجرية والساجية يعينونه كل يوم حتى يجلس لهم مرات بالليل والنهار لا يريده أحد منهم فيحتجب عنه

ياقوت حتى فتشوه ومدوا لحيته وعلموا انه مات حتف أنفه ثم تسلم الى أهله [١] وباع الوزير ضياعهُ وأملاكهُ وقبض على أسباب محمد بن ياقوت كلهم (٥٠٧)

وفى هذه السنة قلد الوزير أعمال الجبل أبا على الحسن بن هرون وخرج اليها فلما حصل بها استأمن اليه غلمان مرداويج الاتراك الذين قتلوه فى الحمام فقبلهم وكانوا ثلاثمائة غلام فلما كان بعد مدة شغبوا عليه وطالبوه بالارزاق وقبضوا عليه وقيدوه ثم أطلقوه. ولما ورد الخبر بالقبض عليه قلد الوزير مكانه أبا عبد الله محمد بن خلف النيرمانى وبلغ ذلك الحسن بن هرون فخافه للمداوة بينهما واستتر وصار الى بغداد مستتراً وأقام على استتاره مدة ثم راسل الوزير أبا على وقرر أمره على مصادرة أوقعها بخمسة عشر الف دينار فلما تقرر أمره ظهر وأقام محمد بن خلف فى الجبل مُديدة [٢]

وأقبل غلمان مرداويج وفيهم بجكم الى جسر النهروان وراسلوا السلطان فامرهم بدخول الحضرة فدخلوا وعسكروا بالمصلى. واضطربت الحجرية وظنوا انها حيلة عليهم فاجتمعوا وطالبوا الوزير أبا على بان يرضيهم ويردهم فاستدعى جماعة من وجوههم ووافقهم على ان ينضموا الى محمد بن على غلام الراشدى (وقلده الجبل) ويُطلق لهم أربعة عشر الف دينار نفقات لهم ثم يسبب مالهم (٥٠٨) على أعمال الجبل فقالوا: نتصرف ونعلم باقي أصحابنا ذلك. فلما انصرفوا لم يقنعوا وكان خبرهم قد اتصل بأبى بكر ابن رائق بواسط وهو

---

(١) وفي الاوراق انه دفن فى مقبرة لهم في الشارع الاعظم فوق سوق السلاح

(٢) وفي التكملة انه مات في هذه السنة بالاعمال التى استولى عليها مرداويج وكان قد أنفذ اليها

متقلد أعمال المعاون بها وبالبصرة فكاتبهم فراسلهم واستدعاهم ووعدهم الاحسان فمالوا اليه واختاروه وساروا اليه فقبلهم وأثبتهم وأسنى لهم بالرزق ورأس عليهم بجكم وسماه بجكم الرائق ورفع منه ومولّه وأحسن اليه وأفرط في ذلك وضمّ جميع الغلمان اليه وتقدّم اليه بان يكاتب كل من بالجبل من الاتراك والديلم بالمصير اليه ليثبتهم فصار اليه عدة وافرة منهم فاثبتهم وضمهم الى بجكم

﴿ودخلت سنة أربع وعشرين وثلثمائة﴾

وفيها أطلق المظفر بن ياقوت من حبسه فى دار السلطان الى منزله بمسئلة الوزير أبى على عنه وحلف الوزير بالايمان الغليظة على انه يواليه ولا ينحرف عنه ولا يسعى له فى مكروه .

وفيها قلد الوزير محمد بن طُغْج أعمال المعاون بمصر مضافةً الى ما يتقلد من أعمال معاون الشام وأدخل الراضى القضاة والعدول حتى عرّفهم تقليده محمد بن طغج وأمرهم بمكاتبة أصحابهم وخلطائهم بذلك (٥٠٩) لئلا ينازعه احمد ابن كيغلغ فانه كان يتولى مصر (١)

وفيها قطع محمد بن رائق حمل مال ضمانه عن واسط والبصرة الى الحضرة واحتج باجتماع الجيش عنده وحاجته الى صرف المال اليهم

وفيها تمت حيلة المظفر بن ياقوت حتى قبض على الوزير أبى على ابن مقلة لانه صح عنده انه هو قتل أخاه وكان السبب فى حبسهما وازالة أمرهما

﴿ ذكر هذه الحيلة على أبى على ابن مقلة ﴾

لم يزل يحب التشفى والاخذ بالثار منذ أطلقه الوزير ولكنه يكتم ذلك

(١) ليراجع فيه كتاب الولاة لابي عمر الكندى ص ٢٨٥

الى أن واقف الحجرية وضربهم عليه وبلغ الوزير ذلك فأخذ يعتضد ببدر الخرشني صاحب الشرطة فقوى أمر بدر ووافقه على أن يستولى على دار السلطان فيحصل فيها ويمنع الغلمان الحجرية منها لانه بلغه أنهم قد عملوا على المصير الى الدار والمقام فعمل بدر ذلك وحصل هو وأصحابه بالسلاح فى الدار ومنع الغلمان الحجرية من دخولها ولم يظهر الوزير أن الذى فعله بدر كان عن رأيه ثم جمع بين الساجية وبين بدر حتي تحالفوا على معاونة بعضهم بعضاً. فلما وقف المظفر بن ياقوت على ذلك ضعفت نفسه وأشار (٥١٠) الحجرية بالخضوع للوزير والتذلل له ولم يزالوا يلطفون للوزير ويتحققون بخدمته الى أن أنس بهم. وسألوه صرف بدر وبذلوا له كل ما أراد من الطاعة والموالاة له الى أن انخدع وصرف بدراً وأصحابه فلما خلت دار السلطان منهم ومن الساجية تحالف الحجرية على أن تكون كلمتهم واحدة فصاروا بأجمعهم الى دار السلطان وضربوا خيمهم فيها وحولها وملكوها وصار الراضى فى ايديهم وحزبهم. فندم الوزير وعلم أن الحيلة تمت عليه فتقدم الى بدر بان يخرج الى المصلى فى أصحابه من غير أن يعلم أحداً انه فعل ذلك برأى الوزير وأمره فخرج بدر وأثبت زيادة من الرجالة. وبلغ ذلك الحجرية فطالبوا الراضى بالله أن يخرج معهم الى المسجد الجامع فى داره فيصلى بالناس ليراه الناس معهم فيعلمون انه فى حيزهم فخرج الراضى يوم الجمعة الى المسجد الجامع الذى فى داره ومشى الغلمان باسرهم بين يديه وحوله بالسلاح رجالة وصلى بالناس وصعد المنبر وخطب وقال فى خطبته: اللهم ان هؤلاء الغلمان بطانتي وظهارتى

فمن أرادهم بسوء فاردده به ومن كادهم فكذه [1]

وقلد بدر الخرشني دمشق وأمره بالخروج اليها من المصلى والا [٥١١] يدخل البلد . وكان المظفر بن ياقوت فى هذا كله يظهر للوزير انه مجتهد فى الصلح ويظهر له الخضوع وهو فى الباطن يسعى فى حتفه وقد قوى

---

(١) روى أبو بكر الصولى فى الاوراق : وقال الساجية والحجرية للراضي: قد أشاع الناس انا محاصروك فاخرج فصل الجمعة بالناس ليروك ذلك . فخرج فصلى بالناس في مسجد الدار وما علم به الناس وقال للحجرية والساجية : أنتم خاصتى وثقاتى . وسفر جعفر بن ورقاء بين الناس وأصلح الامر ووعد الناس بان الخليفة يصلى بهم في الجمعة الثانية فما تخلف أحد . وما كنت أنا علمت بصلاته أول جمعة فحضرت في الثانية ووجدت سحق بن المعتمد حاضراً فدخلنا المقصورة وخرج الراضي فعلا المنبر ووقف علينا يخطب فأوجز ونزل وصلى بالناس فقرأ سورة الجمعة فى أول ركعة وفي الثانية « سبح اسم ربك الاعلى » ثم قرأه فأحسنها ودخل وانصرفنا . فابتدأت أعمل شعراً أصف فيه خطبته فوافتني رقعته بخطه وفيها : أيقاك الله يا محمد قد لحظك طرفي وأنا أخاطب وأنت الى جانب اسحق قريب منى غير بعيد فعرّفني على تحرّي الصدق واتباع الحق كيف ما سمعت وهل أهجن الكلام بزيادة فيه أو اختل بتقصير منه أو وقع ذلك في لفظة أو أحالة في معناه طاريا فيه على عادتك في حال الامرة غير متصر عنها للخلافة ان شاء الله .

فكتبت اليه جواب الرقعة بعد أن أتممت القصيدة : أمير المؤمنين أدام الله دولته وأطال في الملك مدته أجل خطراً وقدراً وأسنى مجداً وفخراً وأوسع خاطراً وفكراً من أن يبلغ خاطب خطابته أو بليغ بلاغته أو يدرك فيها واصف صفته الا بما تناله طاقته وتبلغه غايته الخ

وليراجع أيضاً رواية ارسال الراضي بالله الى اسماعيل بن على الخطبي ليشاوره فيما يقول في الدعاء الى نفسه في الصلاة بالناس فى المصلى وردت في كتاب ارشاد الاريب ٢ : ٣٤٩

أمره بما فعله الراضي . ثم أن الصلح تم بين بدر الخرشني وبين الحجرية فدخل من المصلى الى منزله وأقر بدر على الشرطة .

فلما انقضت هذه القصة أشار الوزير على الراضي بالله سراً أن يخرج بنفسه ومعه الجيش والحجرية والساجية ليدفع محمد بن رائق عن واسط والبصرة وقال له : قد انغلقت عليك هذه البلدان وهي بلدان المال بما فعله محمد بن رائق من الامتناع من حمل مال ضمانه ومتى رأى غيره أن ذلك قد تم له واحتمل عليه تأسى به فذهب مال الاهواز فبطلت المملكة . فعمل الراضي على ذلك وتقدم اليه بالعمل عليه فافتتح الوزير الامر مع ابن رائق بان ينفذ اليه ينال الكبير من الحجرية وما كرد الديلمي من الساجية برسالة من الراضي بالله يأمره فيها أن يبعث بالحسين بن على النوبختي ليواقف على ما جرى على يده من ارتفاع واسط والبصرة . فلم يستجب ابن رائق الى انفاذ الحسين ووهب للرسولين مالاً وأحسن اليهما وسألهما أن يتحملا له الى الخليفة رسالة (٥١٣) في السر وهي انه : ان استدعى الى الحضرة وفوض اليه التدبير قام بكل ما يحتاج اليه من نفقات السلطان وأرزاق الجند ومشى الامور أحسن تمشية وكفى أمير المؤمنين الفكر في شيء من أمره. فلما قدم الرسولان خلوا بالراضي بالله بعد تأدية الرسالة الظاهرة فأدّيا الرسالة السرّية فلم ينشط الراضي لتسليم وزيره وأمسك

ولما رأى الوزير امتناع ابن رائق من تسليم الحسين بن على عمل على ان يكون ظاهر خروجه الى الاهواز لا اليه ولا لقصده ودبر أن ينفذ اليه القاضي أبا الحسين برسالة من الراضي ليعرفه ذلك وأنه لم يأمن أن يقع له ان

الخروج انما هواليه فيستوحش وأنه أنفذ القاضي ليكشف ما في نفسه وعزمه وتوثق له بما يسكن اليه . فلما كان يوم الاثنين لاربع عشر ليلة بقيت من جمادى الاولى وانحدر الوزير الى دار الراضي بالله ومعه القاضي أبو الحسين ليوصله فيسمع من الراضي بالله الرسالة فلما حصل في دهليز التسعيني قبل ان يصل الى الخليفة وثب الغلمان الحجرية ومعهم المظفر بن ياقوت به فقبضوا عليه ووجهوا الى الراضي بالله يعرفونه قبضهم (٥١٣) عليه اذ كان هو المفسد المضرب ويسئلونه أن يستوزر غيره فوجّه اليهم يستصوب فعلهم ويعرفهم انهم لو لم يفعلوا ذلك لفعلهُ هو وردّ الخيار اليهم فيمن يستوزره فذكروا علي بن عيسى ووصفوه بالامانة والكفاءة وأنه ليس في الزمان مثله فاستحضره الراضي بالله وخاطبه في تقلد الوزارة فامتنع وتكرّه ذلك فراجعهُ الراضي بالله وخاطبه الغلمان فيه وطال الخطبُ معه فأقام على الامتناع فقالوا: فتُشير بمن تراه. فأومأ الى أخيه عبد الرحمن

فأنفذ الراضي بالله المظفر بن ياقوت الى عبد الرحمن فأحضره وأوصله الى الراضي وعرّفه أنه قلّده وزارته ودواوينه وخلع عليه وركب في الخلع ومعه الجيش الى داره. واحرقت دار ابن علي

﴿ وزاره عبد الرحمن بن عيسى ﴾

لما تقلد عبد الرحمن غلب علي بن عيسى على التدبير فعَلِمَ أبو العباس الخصيبي وأبو القاسم سليمان بن الحسن وقد كنا ذكرنا أمرهما وما كان من نفي علي بن مقلة اياهما الى عمان وتقدمه الى يوسف بن وجيه صاحب عمان

بحبسهما وأن يوسف بن وجيه أطلقهما فصارا الى بغداد واستترا بها الى أن
(٥١٤) قُبِضَ على ابن مقلة (١)

فلما كان فى هـذا الوقت أكرمهما عبد الرحمن الوزير وكانا يصلان معه الى الراضى بالله مع أبى جعفر محمـد بن القاسم الكرخى وأبى علي الحسن بن هـرون وعلي بن عيسى لا يتأخر أيضاً عن الحضور معهم وسلم أبو علي ابن مقلة الى الوزير عبد الرحمن فضربه بالمقارع وأخـذ خطهُ بالف الف دينار ثم سلمه الى ابى العباس الخصيبي فجرت عليه من المكاره والضرب والرهق أمر عظيم (٢) وحضر أبو بكر ابن قرابة بعد مدة فتوسط أمرهُ وضمن ما عليه وتسلمه وكان أدى الى الخصيبي نيفا وخمسين الف دينار

(١) قال أبو بكر الصولي فى الاوراق : تنكر الساجية والحجرية للوزير فطالبوا فى دار السلطان بارزاقهم فعرّفهم انه لا مال عنده فوثبوا به وقبضوا عليه والسلطان يراهم فوثب ودخل وأمر راغبا أن يتسلم الوزير ويكون فى يده والا تجرى جناية عليه . ونهب الناس داره ودار ابنه الملاصقة لداره وطرحوا فيها النار ونهب جماعة من كتابه . وكان من العجائب المشهورة ان دار ابن مقلة أحرقت في مثل اليوم الذى أمر فيه باحراق دار سليمان بن الحسن بباب محوّل وفي مثل ذلك الشهر بينهما حول كامل . وحول بن مقلة الى دار الوزير عبد الرحمن فأحسن اليه وسلمه الى هنكر وما كور ليكون فى أيديهما ويناظره سليمان في الاموال بحضرتهما . فجعل فى دار النوبشرى بقرب الجسر .

(٢) وفي التكملة : قال ثابت بن سنان : دخلت اليه لاجل مرضة أصابته فرأيته مطروحا على حصير خلق على بارية وهو عريان بسراويل ومن رأسه الى أطراف أصابعه كاون الباذنجان فقلت : انه محتاج الى الفصد فقال الخصيبي . يحتاج أن يلحقه كرة المطالبة . فقلت : ان لم يفصد تلف وان فصد ولحقه مكروه تلف . وكانه الخصيبي : ان كنت تظن أن الفصد يرفهك فبئس ما تظن . ثم قال : افصدوه ورفهوه اليوم . ففصد وهو يتوقع للمكروه واتفق للخصيبي ما أحوجه للاستتار وكفى ابن مقلة أمره وحضر ابن قرابة الخ

وصرف بدر الخرشني عن الشرطة لانحراف الحجرية عنه [١] وولى أعمال المعاون باصبهان وفارس لان الحجرية كرهوا مقامه بالحضرة فخلع عليه وأخرج مضاربه الى ميدان الاشنان وأنفذ اليه اللواء وضم اليه الحسن بن هرون لتدبير أمر الخراج بهذه النواحى ثم توقف عن امضاء هذا الرأي فبطل خروجه [٢]

وعجز عبد الرحمن عن تمشية الامور وضاق المال حتى استعفى عبد الرحمن عن تمشية الامور للراضى بالله ومن الوزارة وسأله أن يقرضه عشرة آلاف دينار اذ كانت وجوه المال قد تعذرت عليه فقبض عليه الراضى فى هذه السنة وقلّد وزارته الكرخى

﴿ [٥١٥] ذكر وزارة أبى جعفر محمد بن القاسم الكرخى ﴾

لما قلد أبو جعفر الكرخى الوزارة وخلع عليه وانصرف الى منزله ومعه الجيش كلف مناظرة على بن عيسى وأخيه عبد الرحمن وحملا الى داره [٣] فصادر على بن عيسى على مائة الف دينار وصادر اخاه على سبعين الف دينار وأقاما على حال صيانة وتكرمة الى ان أدّى على بن عيسى سبعين الف دينار وأدى أخوه ثلاثين الف دينار ثم صرفا الى منازلهما

وكان الوزير أبو جعفر الكرخى قصيرا فاحتيج بسبب قصره الى أن ينقص من ارتفاع سرير الملك فنقص منه أربع أصابع مفتوحة

---

(١) وفي تاريخ الاسلام : وولى الشرطة كاجو (٢) وفي الاوراق : واستوحش الخرشني لما فعله الساجية والحجرية وتحول فنزل دار الحسن بن هرون وشغل عن العامة فغاثوا ثم صار اليه جماعة من الحجرية فخلعوا له انه واحد منهم فرضي ورجع الى داره

(٣) وهذا بشفاعة أبى محمد الصاحي الى الراضى بالله كذا فى كتاب الوزراء لهلال الصابي ص ٣٣٣

وفيها قتل ياقوت بعسكر مكرم

﴿ ذكر مقتل ياقوت ﴾

قد ذكرنا أمر ياقوت فى خروجه الى أرّجان لحرب على بن بويه فى قصه وقضيضه وديلمه وأتراكه وسائر خيله . وكان معه من الرجالة السودان ثلاثة آلاف رجل وانهزم من بين يدى على بن بويه بباب أرّجان بعسكره كله وكان على الساقة فى الهزيمة لانه ثبت وسار على بن بويه خلفه الى رامهرمز وحصل ياقوت بعسكر مكرم فى غربيّها وقطع الجسر المعقود على المسرقان وأقام على بن بويه برامهرمز الى ان وقع الصلح بينه [٥١٦] وبين السلطان

وكتب أبو عبد الله البريدى الى ياقوت ان يقيم بعسكر مكرم الى أن يستريح ويقع التدبير لامره من بعد وكان غرضه الا يجمعه واياه بلدٌ فقبل ياقوت . واتاه ابو يوسف البريدى متوجعا بما جرى عليه من الهزيمة ومهنئا له بالسلامة وتوسط بينه وبين اخيه ابى عبد الله على ان يطلق له خمسين الف دينار يعلل بها عسكره الى أن يكتب الى السلطان ويستأمره فيما يطلقهُ له ولرجاله . وعرفهُ ان الرجال المقيمين بالاهواز فيهم كثرة ويطالبون بحالهم وهم البربر والشفيعية والنازوكية واليلبقية والهارونية وكان أبو على ابن مقلة ميز هؤلاء وأنفذهم الى الاهواز لتخفّ مؤنتهم عن الحضرة وتتوفر أموال الساجية والحجرية فذكر أبو يوسف ان هؤلاء لا يطلقون مالا يخرج من الاهواز الى سواهم وانهم ان أحسّوا شغبوا فاحتاج أبو عبد الله الى مفارقة الاهواز اشفاقا على نفسه منهم . ثم تؤول الحال الى حرب تقع بعد الهزيمة الارّجانية ولا يدرى كيف تكون الحال فيها وان السلطان مع ذلك مطالب بحمل مال اليه [٥١٧] وقال له : ان رجالك مع سوء أثرهم وقبح بلائهم وهزيمتهم

دفعة بعد دفعة اذا أعطوا اليسير قنعوا به وصبروا عليه . فقبل ياقوت ذلك وسبّب له بهذا المال على عسكرمكرم وتستر فارضى بعضه الحجرية وبعضه وجوه القواد وأنفق فى سودانه فى المسجد الجامع بعسكرمكرم ثلاثة دراهم لكل رجل ومضى الامر على ذلك شهورا . وافتتح مال سنة ٣٢٤ فضجّ رجاله وطالبوهُ وقالوا : انه لا صبر لهم على الضرّ وان المنافسة على خيرات الدنيا فى الطبع والجبلة لو كانوا أغنياء فكيف بهم مع اختلالهم وأنهم لا يرضون أن يقبض نظراؤهم بالاهواز على الادرار ويحرموا هم وان يتجرعوا الاسف والحسرات وانهم قدسئموا الفقر ومعاناة المجاعة .

وقد كان استأمن من أصحاب على بن بويه الى ياقوت طاهر الجيلى وكان ممن يرشح نفسه للامور الكبار ويرى انه نظير لشيرج وطبقته واجتمع اليه نحو ثمانمائة رجل من العجم فشغب على ياقوت ثم رحل مع أصحابه وانصرف عنه وقدّر انه يملك ماه البصرة وماه الكوفة . فكبسه على بن بويه ثم سجنه فجا بنفسه مع بعض غلمانه[٩١٨] وأبو جعفر الصيمرى كاتبهُ فى الاسر وخلّصه الخياط فخرج الى كرمان فكان سببا لاقباله واتصاله بالامير أبى الحسين أحمد بن بويه . فضعفت نفس ياقوت بخروج طاهر الجيلى وأصحابه واستطال باقى رجاله عليه وخاف أن يعقدوا لبعض قواده الرياسة وينصرفوا عنه فكاتب أبا عبد الله البريدى بالصورة وأعلمه أنه كاتبه ومدبر أمره وانه قد فوّض اليه الرأى والتدبير فى رجاله ليمضى عليه وعليهم ما يستصوبهُ

﴿ ذكر الخديعة التى نفذت على ياقوت ﴾

كان ياقوت واثقا برجل ساقط يعرف بأبى بكر النيلى يجريه مجرى الأب

وينعطف الى رأيه وقوله مع ضعة في النيلي وخساسة في همته وقدره فاستصلحه أبو عبد الله البريدي ووسع عليه فكان النيلي رسول يافوت الى أبي عبدالله بما قد ذكرته . فكتب أبو عبد الله البريدي ان عسكره قد فسدوا وفيهم من ينبغي أن يُميّز ويخرج لان علي بن خلف بن طناب خانه واقتطع أموالا باسم هؤلاء القوم وزاد قوم زيادات كثيرة وان الصواب أن ينفذوا اليه ليعرفهم ان هذه الزيادات تفوّتهم الاصول السلطانية ويشافههم بان الصواب ان يسقطوها ليتوفّر عليهم الاصول [٥١٩] وقال : انما يتمّ هذا بالاهواز لانهم يردونها أفواجاً وزمراً فان أساءوا آدابهم وامتنعوا قوّموا بالجيش المقيمين بالاهواز وانهم ان خوطبوا بهذا الكلام وهم بعسكر مكرم تظاهروا وتضافروا وتعاقدوا فلم يتمّ عليهم ردّهم من الكثير الى القليل. وأكثر في هذا المعنى حتى قال : يا أبا بكر سبيلُ العرض ان يقع بحيث الهيبة والخوفُ لا بحيث الحكم والاستطالة . فما قال له النيلي : الهيبة حيث يكون الامير لا انت . ولا كانت له منّة لان يردّ عليه شيئا .

وسأل أبو عبد الله البريدي ان ينفذ اليه أبا الفتح ابن أبي طاهر وأبا أحمد الجستاني ليشاورهما في التقرير ويتعرّف منهما منازل الرجال واستدعى أبا بكر النقيب الذي كان مع أبي طاهر محمد بن عبد الصمد ليعرف منه أحوالهم وأنفذ اليه ياقوت مَن التمس وتقدّم الى رجاله بالخروج للعرض. فلما حصلوا عند البريدي استصلح الرجال لنفسه وانتخب منهم من أراد ووعدهم ان يجريهم مجري من معه بالاهواز فأجابوه وصاروا الى عسكره وردّوا الارذال الى ياقوت بعد ان أسقط زياداتهم . فلما استتمّ العرض وجد نصف اليافوتيّة قد انحازوا [٥٢٠] عنه فقيل ليافوت ذلك ووبّخ وعذل فقال : قد

اجتمع لى بمقام من أقام بالاهواز خفّة المطالبة عنى وحصولهم مع كاتبى وليس يصلح ابنُ البريدى لما أصلحُ له فاخافهُ وان احتجتُ او احتيج الى حرب فالجماعة بالضرورة يعودون الىّ وهم عدّة لى عنده . وعاد رجال ياقوت اليه فقالوا له : ما حصلنا من الغرض الا على ان خرج شطرُنا وهيضَ جناحنا وضعفت شوكتنا فاكتب الى البريدى ان يحمل ما قررهُ لنا . فكتب ياقوت بذلك فاجابهُ أبو عبد الله بانه يحتال ويحمل

ثم زاد الالحاح على ياقوت فخرج بنفسه الى الاهواز فى ثلاثمائة رجل وقلل العدّة لئلا يستوحش البريدى وقدّر انه الى كاتبه يمضى فتلقاهُ أبو عبد الله البريدى بالسواد الاعظم واخرج معه كلّ من بالاهواز من الجيش فلما رأى ياقوتاً ترجل له وانكبّ ياقوت عليه حتى كاد ينزل عن دابته ثم سار وانزله داره وخدمهُ بنفسه وقام بين يديه الى ان طعم وغسل يده فناولهُ الماء ورد والمنديل وبخّرهُ بيده فهوفى ذلك قبل ان يفاوضه اذ ارتفعت ضجةٌ عظيمة وشغب الجند وقالوا : انما وافى ياقوت اليه ! فقال البريدى : (٥٢١) أيها الامير الله الله اخرج وبادر والاّ قتلنا جميعاً . فخرج ياقوت من وقته خائفاً يترقب من طريق يخالف طريق المشغبين وعاد الى عسكر مكرم كما بدا منها . ثم ورد عليه كتاب البريدى بان الرجال بالاهواز قد استوحشوا منه وان الوجه ان يخرج الى تستر فان بينها وبين الاهواز ستّة عشر فرسخاً وعسكر مكرم فهى على ثمانية فراسخ واذا نأت الدار زال الاستيحاش وسبّب له على عامل تستر بخمسين الف دينار فخرج اليها .

فقال له مونس (وكان مونس هذا تربية ياقوت وثقته) : أيها الامير ان البريدى يحزُّ مفاصلنا مفصلا مفصلا ويسخر منا وأنتَ مغترٌّ به وقد حاز

شطر رجالنا ووجوه قوادنا الى نفسه وضمن لنا اليسير من المقرّر وليس يطاق ذلك أيضاً ليستأمن اليه الباقون ثم يأتي على أنفسنا وقد اتصلت كتب الحجريّة اليك بأنه لم يبق لهم شيخ غيرك فاما دخلت بغداد وجميع من بها يسلّم لك الرياسة وأوّلهم محمد بن رائق بالضرورة لِسنّك وانك نظير أبيه وإما خرجتَ الى الاهواز حتى تطرد البريدى عنها وتقيم أنتَ بها فانا وان كانت عدّتنا يسيرة دون عدّته فهو كاتبٌ ونحن فى خمسمائة (٥٢٢) رجل وهو فى عشرة آلاف رجل وقد أحصيت من عندنا فوجدتهم نحو خمسة آلاف رجل وفيهم كفاية والعسكر بصاحبه وأنت أنتَ . وقد قال عدوُّك على ابن بويه « لو كان فى عسكر ياقوت مائة رجل مثلهُ ما قاومتهُ » فالله الله يامولاى لم تضيّع نفسك وتضيّعنا . فقال : سأنظر وأفكر . فخرج مونس مغضباً من عنده وركب فى ثلاثة آلاف رجل شاذّاً عن مولاه ياقوت ووافى عسكر مكرم يريد الاهواز وقال لنا : لاأعصي مولاى فانه اشترانى وربّانى واصطنعنى ولكنى أفتح الاهواز واسلّمها اليه . فما استقرّ بعسكر مكرم ثلاث ساعات من النهار حتى ورد كتاب ياقوت على دَرَك (وكان والى الشرطة بعسكر مكرم) يعرّفه ان مونساً غلامهُ خرج بغير اذنه وشرح له صورتهُ وسأله ان يجتمع معه ويخوفه الله عز وجل ويحذّره كفر نعمته ويستوقفه الى ان يلحق به . فعبر دَرَك من شرقى عسكر مكرم الى غربيها ووعظ مونساً وعظاً كثيراً وخاطبه خطابا بليغاً وكان دَرَك شيخاً مقدّماً الا أن السنّ قد أخذت منه وحضر بحضوره أصحابهُ فقال لمونس خادمٌ كان معه مكيناً منه وكان معقّلاً (١) : يا مونس ان مولاك (٥٢٣) قبض على ابنيه

(١) زاد صاحب التكملة : يقال له أبو النمر . وقال أيضاً ان ياقوت كان استفتى

وهما تاجان ودُرّتان فلم يستحلّ ان يعصى مولاهُ ولا يكفر نعمته وسلّمهما ولم يحارب فيهما ولا طلب بهما أفانتَ تعصى مولاك فترسل يدك عن طاعته اما تخاف العقوبة ؟ وان تخذل في هذه الحرب ويظفر بك فتخسر الدنيا والآخرة ولا سيما وقد بذل ان يوافيك ويساعدك على ما تريده انتظر رَيث نفوذ كتابنا وورود جوابه . فأقام مونس لما أخذهُ العذل والتأنيب من درك وأصحابه ووافى ياقوت فى اليوم الثانى واجتمع مع غلمانه .

ووافى عسكر البريدى باسره فنزلوا فى صحراء خان طوق ومعهم غلام البريدى برؤسهم ومعه القُوّاد الكبار وأكبرهم أبو الفتح ابن أبى طاهر . ووقعت المنازلة بين ياقوت وأبى جعفر الجمّال وتثبت ياقوت بعسكر مكرم عن المسير الى الاهواز وتهيب الصورة وقال لمونس : السلطان لنا على النيّة التى عرفناها وكان منه الى ابنى مالا يجوز ان يصلح لى أبداً وفارس فقد عرفتَ صورتنا بها ولا مذهب لنا فى الدنيا ولا لنا موضع نأويه الا هذا البلد والحرب سجالٌ وقد كثر عسكر الرجل فان نحن حاربناهُ وانهزمنا كُنّا بين الاسر والحمل الى الحضرة وشهرتُ بها واركبتُ الفيل . ثم يظنُّ بى انى كفرت (٥٢٤) نعمة مولاى فيلعننى الناس وبين ان أقتل والوجه المداراة والمقاربة لهذا الرجل وان نعود الى تستر ونصير منها الى الجبل فان استقام لنا بها أمرٌ والاّ لحقنا بخراسان . وشاع هذا الكلام فضعفت نفوس أصحابه وطالت الايام فى منازلة عسكر البريدى فكان كلّ يوم يستأمن عدة من أصحابه الى البريدى . فكان مونس يبكّر اليه في كلّ يوم ويقول له : يامولاى مضى البارحه من أصحابنا ثلاثمائة أو أكثر أو أقلّ . فلا يزيده

الفقهاء فانتوه انه لايحل له ان يحارب الامام

على ان يقول: الى كاتبنا يضمون واذا كانت هذه نيّاتهم لنا فما الانتفاع بهم؟ ولأن يبقى معنا الف رجل يحصلون فنمضي بهم الى حيث نقصد اصلحُ من جميع هـذا الفيف الذي هم كلٌّ في الرخاء واعداء يوم اللقاء وقـد جرّبناهم بباب فارس وباب ازّجان . فلم يزل كذلك حتى بقي في ثمانمائة رجل فلما علم البريدي انه قـد استظهر الاستظهار التامّ راسـلهُ في المواعدة بأبي القاسم التنوخي القاضي وقال : اني لك على العهد والميثاق . وانه كاتبـهُ وان الامارة لا تصلح له وان البلوى والشقاء قد حلاّ به وصارت مطالبة الرجال عليه وانه يلاقي الموت صباح مساء ويخاف على نفسه منهم وانه لا رغبة له في ارتباطهم (٥٢٥) وانما جرّ سببٌ سبباً حتى اجتمعوا عنده وانه يصاهره حتى يزداد ثقة به ووكل القاضي في تزويج ابنته من أبي العباس أحمد بن ياقوت. فوافاه القاضي أبو القاسم التنوخي وادّى اليه الرسالة وقبلها وانعقد الصهر ورحل للوقت الى تستر ووافاه بعقب ذلك غلام للسلطان من الحجريّة ومعه المظفر ابنه بكتاب اليـه يذكر فيه انه قد وهب ابنهُ هذا له ومنّ به عليه فالتقيا بتستر فاشار عليه ابنـه المظفر بالخروج الى حضرة السـلطان ليشكرهُ على انفاذه ويقيم بدّ العاقول ويستأذنه في الدخول فان أذن له فقد تمّ له ما يحب ووجد الحجريّة مسرعين اليه وان لم يأذن له تقلد الموصل وديار ربيعة وخرج اليها وان منع من ذلك جعل مقصدهُ الشام . فخالف ابنه ولم يرتض رأيه وقال : أنا أتأمل ما ذكرته فاقم عندي لنتشاور . فاستعفاه من ذلك وسأله ان يأذن له في المقام بعسكر مكرم فأذن له . فاطمع البريدي المظفر في ان يجعله اسفهسلاّر عسكره وان يتدبر بتدبيره حتى فارق أباه واستأمن اليه فخصل في بستانه المشهور (٥٢٦)

بالاهواز وأحاط بالبستان من يراعيه ويحفظه من حيث لا يعلم

ولما استوثق البريدى لنفسه واستظهر تخوف من الياقوتية الذين عنده وان يراسلوه بلون من الالوان المنكرة من التدبير عليه أو ان يتداخلهم التعصب له فيشغبوا عليه ويدعوا بشعار ياقوت . وكتب الى ياقوت بان السلطان قد أمره بالخروج عن تستر الى الحضرة فى خمسة عشر غلاما أو النفوذ الى الجبل متقلداً لها وبان يقصده الى تستر ويخرجه منها قهراً فتحيّر ودعا مونساً غلامه فقال له : أى شئ ترى ؟ فقال له : الآن وقد مضى مامضى وَالله لا صحبك الى الحضرة ولا الى الجبل أحد ممن معك ولا لهم نفقات تنهضهم فان أردت ان تمضي فى عشرين غلاما الى السلطان فذاك اليك . فاجاب البريدى عن كتابه بانه يروّى ويذكر له ماعنده بعد ان استمهله شهرا ليتأهب للسفر الذى يقصده فعاد اليه من جواسيسه واحدٌ كذبهُ فاخبرهُ بان الجيش وافى عسكر مكرم ونزلوا الدور وانبسطوا فى المدينة فاحضر غلامهُ مونساً وقال له : ظفرنا والحمدلله بعدوّنا وكافر نعمتنا فنسير من تستر وقت عتمة ونصبّح عسكر (٥٢٧) مكرم والقوم غارّون فى الدور فنكبسهم ونشردهم ونعتد الى الاهواز فلا يثبت لنا البريدى بل يكون همّه الهرب لوجهه . فقال مونس : ارجو ان يكون هذا صوابا .

وسار ياقوت ووصل الى عسكر مُكرم وقد بدأت الشمس من مطلعها وامتدّ مشتقّاً المبار الى ناعورة السبيل ونهر جارود فلم ير لرجال البريدى أثرا فخيّم ونزل عند النهر ومضى يومه الى آخره وهو متعجب من الغرور الذى غرّهُ جاسوسه فلما كان وقت العصر ظهرت الطلائع ثم أقبل العسكر وأميرهم أبو جعفر الجمال فنزل على فرسخ من ياقوت وحجز الليل بين

العسكرين . وأصبح فكانت بينهم مناوشة ومبارزة واتعدوا للحرب فى اليوم الذى يليه لان عسكر البريدي كان منتظرا عسكرا قد سيره البريدى على طريق دجيل ليدخل من خلفه كمينا على ياقوت حتى يصير وراءه . ثم أصبحوا فى اليوم الثالث من ورود ياقوت عسكر مكرم فابتدأت الحرب منذ وقت طلوع الشمس الى وقت الظهر وثبت ياقوت ومعه ممن نصره مثل مونس وآذريون ومشرق وغيرهم فى دون ألف رجل فأعيا من بازائه من أبى جعفر الجمال وغيره على كثرة عددهم حتى [٥٢٨] كادت البريدية تنهزم . وجاءت الظهر وقد بلغت القلوب الحناجر فطلع الكمين وهم ثلاثة آلاف رجل جامين فأبلس ياقوت وقال : لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم . وأومأ الى مونس ان يقصدهم ويكفيه اياهم فعدل مونس مع ثلاثمائة رجل اليهم وبقي ياقوت فى خمسمائة رجل فما مضت ساعة حتى وافى منهزما فرمى ياقوت نفسه من دابته ونزع سلاحه وما عليه من ثيابه حتى بقى بسراويل وقميص سنبزى ثم أوى الى رباط يعرف برباط الحسين بن دبار [١] فاستند اليه ولو دخل الرباط واستتر فيه لانستر أمرهُ ولجنَّهُ الليل ولجاز ان يسلم . فجلس بحيث ذكرت وهو بقرب ناعورة السبيل وغطّى وجهه ومدّ يده يسئل ليقدّر فيه انه من أرباب النعم افتقر وهو يطلب هدية فركب اليه قوم من البربر ورأوه بهذه الصورة فطلبوه بكشف وجهه فامتنع وأومأ اليه أحدهم بمزراق فقال : أنا ياقوت احملونى الى البريدى . فاجتمعوا عليه وحزوا رأسه وانهزم مونس ومشرق وآذريون الى تستر واتبعهم الاعراب والبربر فاسروهم وردوهم . وأطلق أبو جعفر الجمال طائرا بالخبر الى البريدى

(١) وفي النكلمة : زياد

يستأذن [٥٢٩] في رأس ياقوت فردّ اليه فى الجواب مع غلام يركض بان يجمع الرأس والجثة ويدفن الجميع فى الموضع الذى قتل فيه [١] وقبض البريدى على المظفر ابنه مدة ثم أنفذه الى الحضرة

وطغى البريدى بعد ذلك وشهر نفسه بالعصيان وقد كانت نفسه ضعيفة فيما ارتكبه من أمر ياقوت فقواها أخوه أبو يوسف حتى جهز اليه العساكر وقتله [٢] حكى أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى انه سمع أبا يوسف البريدى يخاطب أبا عبد الله أخاه فقال أبو عبد الله : يا أخى أخاف أن تتعصب الحجرية علينا فيقتلونا ان دخلنا الحضرة يوماً وفى العاجل لستُ

---

(١) قال أبو بكر الصولي في الاوراق : ولما ورد قتل ياقوت على الحجرية اضطربوا اضطرابا شديداً واجتمعوا الى الراضي بالله وقالوا : قبضت على ابنه أبي بكر بغير ذنب جنبته ثم قبضت على أخيه أبي الفتح ثم كتبت الى ابن البريدى في قتله . فجلس لهم واحضر القاضى وأحضر معه من العدول أبا الحسن الهاشمي ابن أم شيبان وابن عمه عبد الوهاب وجلس الراضى لهم ليلا فدخلوا اليه وهو على كرسي فلغطوا وكان الصغار أشد كلاما وابسط ألسناً من كبارهم وقوادهم فتركهم حتى تكلموا بكل ما أرادوه واخرجوا مافي أنفسهم ثم أقبل عليهم رابط الجاش ذرب اللسان فكلمهم أحسن كلام وقال : ان كان هذا الامر قد صح عندكم فعرفونى من أي وجه صح لاعرفه كمعرفتكم وان كان ظنا فالظن يخطئ ويصيب وانما ظننتم هذا بمجئ أخي البريدي أبي الحسين الي الدار هذه الايام وانما كان يجيئ بكتب أخيه فيشكو معاملة ياقوت . ثم أخرج فصولا من كتب قد دفعها الي القاضي فقرأها عليهم وفيها جوابات من ياقوت الي ابن البريدى وقد أنفذها ابن البريدى اليه ثم قال لهم: ماقبلت في ابن البريدى الا رأى محمد بن ياقوت والآن فقد وقفتم على الخبر وانا أعزلهم وأنفذ الجيوش اليهم وأخرج معكم اذا أردتم . ثم كلمهم القاضي وفرقهم

(٢) زاد فيه صاحب التكملة. وكانت نفقة مائدته في كل يوم ألف درهم وكان غلمانه خمسة وكسوته متوسطة ولم يتسرر الا بثلاث جوارى ولم تكن له زوجة غير والدة ابنه أبي القاسم وكانت صلاته للجند خاصة ولم يعط شاعراً ولا طارقاً شيئاً .

آمن على أخي أبي الحسين وهو بالحضرة أن يقتل بثاره . فقال أبو يوسف: أما أبو الحسين فنحن نكتب اليه بالخبر حتى يأخذ لنفسه ويستظهر وأما الحجرية ودخولنا الحضرة بعد أن وسمنا بمصادرة اثني عشر ألف ألف درهم فهيهات من ذلك أبعد تخلصنا من القاهر ومن الخصيبي الملعون وسلامة أرواحنا نحدث أنفسنا بدخول الحضرة بلى ستهدم منازلنا والى لعنة الله ما نعود الى الحضرة فنحتاج اليها وقد دبرت ودع يا أباعبدالله ما اعتدت فانك لا ترى مثله مع خلوقة الزمان [٥٣٠] وإدبار الملك وفقر الخلافة وقد كنا نتكسب من السلطان وهو اليوم مثلنا نحن بل نحن مكسب له يريد أن يجتاحنا ويأخذ مالنا ومتى لم نعتصم بهذه العساكر المجتمعة ونخرج ياقوتا منها سقطنا ثم يطول علينا أن نجد من أيامنا يوماً ووالله ما أشرت عليك بما نسمع الا بعد ان استعددت له ما يعينني عليه وقد وافقتك على هذا سراً وجهراً وأبو زكريا ممن لا نحتشمه. (قال أبو زكريا) وانما أومأ أبو يوسف بهذا القول الى مال السوس وجنديسابور فان أبا عبد الله كان أجمّه عنده استظهاراً واناخ في النفقات وأرزاق الاولياء وما كان يعلّل به السلطان على أموال كور الاهواز الباقية وكان يجتذب القطنة فالقطعة منها ويجعل ذلك وراءه ولم يكن له نفقة ولا بذخ حينئذ . وماوهب قط لطارق ولا شاعر ولا ولد نعمة شيئاً وكان عارفاً بورود الاموال وخرجها وجميعها تجرى على يده فان شذّ منها شيء عنه الى اسرائيل بن صالح وسهل بن نظير الجهبذين لم يخف عليه مبلغه (قال) واستخرج أبو عبد الله وأخوه أبو يوسف من كور الاهواز بعد تقليد الراضي اياهما لسني اثنتين وثلاث [٥٣١] وأربع وعشرين وثلثمائة والى شعبان من سنة خمس (فان بحكم هزمهم وأخرجهم عنها في هذا الشهر)

ثمانية الاف ألف دينار وجميع ما خرج عنها فى جميع وجوه النفقات دون أربعة الاف ألف دينار حاصلة وسمعت يعقوب الصيرفى اليهودى يقول : سمعت أبا عبدالله يقول: نمضى الى البصرة فان تم لنا بها أمر فقد كفينا وان حزبنا أمر لا نطيقه قصدنا عمان واستجرنا بصاحبها (يعنى يوسف بن وجيه) فانه حرّ ودبرنا أمرنا فأما ان عبرنا الى فارس واستجرنا بعلى بن بويه فان دولة الديلم قوية والحضرة مدبرة واما ان عبرنا الى التيز ومكران وقصدنا صاحب خراسان فالطريق اليها جدد .

وعدنا الى ذكر أخبار الحضرة وتدبير الوزراء لها . كان الوزير غير ناهض بالوزارة وما زالت الاضاقة تزيد ومن فى يده مال من المعاملين يطمع وقطع ابن رائق الحمل من واسط والبصرة والبريديون من الاهواز وعلى ابن بويه قد تغلب على فارس وابن الياس على كرمان . فتحيّر أبو جعفر الكرخى واعتدت المطالبات عليه وانقطعت المواد عنه ونقصت هيبته فاستتر بعد ثلاثة أشهر [٥٣٢] ونصف من وقت تقلده . ووجد فى خزانته سفاتج لم تفض وما يجرى هذا المجرى من العجز وقلة النفاذ فى العمل

(وزارة سليمان بن يحيى) [١]

ولما استتر الكرخى استحضر الراضى سليمن بن الحسن أبا القاسم فقلده الوزارة والدواوين فكان فى التحيّر وانقطاع المواد عنه على مثل حال الكرخى فدفعت الضرورة الراضى بالله الى أن راسل أبا بكر محمد بن رائق وهو بواسط وأذكره بما ضمن من القيام بالنفقات وازاحة علة الجيش والحشم ومسئلته عما عنده من المقام على ذلك أو الانصراف عنه . فتلقى أبو بكر محمد بن رائق

(١) هذه الترجمة زدناها

الرسول بالجميل ووصله بألف دينار وأجاب عن الكتاب بانه مقيم على ماضمنه

(ذكر استيلاء ابن رائق على الخلافة وسائر الممالك)

فانفذ اليه الراضي ما كرد الديلمي من الساجية وعرفه انه قلده الامارة ورياسة الجيش وجعله أمير الامراء وردّ اليه تدبير أعمال الخراج والضياع وأعمال المعاون فى جميع النواحي وفوض اليه تدبير المملكة وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر فى الممالك وبأن يكنّي وأنفذ اليه الخلع واللواء مع ما كرد الديلمي وخادم من خدم السلطان وانحدر (٥٣٣) اليه أصحاب الدواوين كلهم وجميع قواد الساجية (١) والحسن بن هرون. فلما حصلوا بواسط قبض على الساجية وعلى الحسن بن هرون قبل أن يصلوا اليه وحبس الساجية ونهبت رحالهم وقيل للحجرية : انما فعلنا ذلك بالساجية لتتوفر أموالكم. وورد الخبر بذلك الى بغداد وكان قد بقي من الساجية ببغداد خلق فخرجوا الى الموصل والى الشام . واستوحش الحجرية ببغداد لما جرى على الساجية بواسط فقصدوا دار السلطان وأحدقوا بها وضربوا خيمهم حولها ووجه ابن رائق بمونس الافلحي وبارس الحاجب الى بغداد فضربوا خيمهم فى باب الشماسية وقلّد لؤلؤ الشرطة ببغداد . ثم أصعد محمد بن رائق من واسط يوم الجمعة لعشر بقين من ذى الحجة ومعه بجكم فرتب محمد بن رائق فوق الوزير وخلع عليه وركب الى مضربه فى الحلبة وحمل اليه من دار السلطان الطعام والشراب والفواكه عدّة أيام وخدمه فى ذلك خدم السلطان . واجتمع

(١) وفى الاوراق . وكان كاجو وينال انحدرا الي ابن رائق فوصلهما ورجعا ثم انحدر كاجو وما كرد وتكيجور وصافى من قواد الساجية وانحدر معهم أبو جعفر بن شيرازاد والحسن بن هرون وأبو بكر بن الصيرفي

اليه الغلمان الحجرية وسلموا عليه وأمرهم بقلع خيمهم من دار السلطان والانصراف الى منازلهم ففعلوا[1]

وبطل منذ (٥٣٤) يومئذ أمر الوزارة فلم يكن الوزير ينظر فى شئ من أمر النواحى ولا الدواوين ولا الأعمال ولا كان له غير اسم الوزارة فقط وان يحضر فى أيام المواكب دار السلطان بسواد وسيف ومنطقة ويقف ساكتاً وصار ابن رائق وكاتبهُ ينظران فى الامر كله[2] وكذلك كل من تقلد الامارة بعد ابن رائق الى هذه الغاية وصارت أموال النواحى تحمل الى خزائن الامراء فيأمرون وينهون فيها وينفقونها كما يرون ويطلقون لنفقات السلطان ما يريدون وبطلت بيوت الاموال .

وفى هذه السنة ملك ابن الياس كرمان وصفت له بعد حروب جرت له مع جيش خراسان .

وفى هذه السنة جرت الحادثة على أبى الحسين أحمد بن بويه وأصيب بيده ووقع بين القتلى ثم تخلص وأفضى أمره الى ملك العراق

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

لما تمكن على بن بويه بفارس وتمكن أخوه الحسن بن بويه بأصبهان نظر فى أمر أخيه الاصغر أبى الحسين أحمد بن بويه فتقرّر الامر بينهما مكاتبةً ومراسلةً على ان يتوجه الى كرمان فضمّ اليه على بن بويه عسكراً

---

(١) وفي الاوراق : ورد خبر الطير من فاتك بان صغار الساجية قصدوا داره لكبسها واستخراج قوادهم منها وانه رمى اليهم برؤسهم واستبقى الحسن بن هرون وصافياً .

(٢) وفي التكملة : وكان مدبر أمر (ابن) رائق أبا عبد الله النوبختى فاغتل بعد مصاحبته بثلاثة أشهر فاستكتب مكانه أبا عبد الله الكوفى .

(٥٣٥) فيه من كبار الديلم ومن كوريها ألف وخمسمائة رجل ونحو خمسمائة رجل من الاتراك ومن يجرى مجراهم . وكان يكتب لابى الحسين فى ذلك الوقت رجل يعرف بأبى الحسين أحمد بن محمد الرازى وكان ممتعاً باحدى عينيه ويعرف بكوردفير ولم تكن له صناعة ولكنه كان واسع الصدر شجاعا فورد السيرجان واستخرج منها مالا وأنفقه في عسكره . وكان ابراهيم بن سمجور [1] الدواتى من قبل صاحب خراسان محاصراً لمحمد بن الياس بن اليسع الصغدى فلما بلغ ابن سمجور خبر الديلم رجع الى خراسان ونفّر عن خناق محمد بن الياس فتخلص وانتهز الفرصة وخرج عن القلعة التي كان فيها الى مدينة بمّ وهى على مفازة تتصل بسجستان . فسار أحمد بن بويه اليه فرحل الى سجستان من غير حرب فانصرف من هناك وتوجّه الى جيرفت وهى قصبة كرمان واستخلف على بمّ بعض قوّاده . فلما أشرف على جيرفت تلقاهُ رسول على بن الزنجى وكان رئيس القفص والبلوص وهو المعروف ببلى بن كلويه وكان هو واسلافه متغلبين على تلك الاعمال الاّ انهم يجاملون كلّ سلطان يَرِد عليهم ويذعنون له ويحملون اليه مالاً (٥٣٦) معلوما ولا يطؤون بساطهُ . فبذل لاحمد بن بويه ذلك المال على الرسم فأجابه بأن الامر فى هذا الى أخيه على بن بويه وانه لابدّ له من دخول جيرفت فاذا دخلها كاتبهُ وراسلهُ فى ذلك وأمره ان يبعد عن البلد فاستجاب ورحل الى نحو

(١) هو الامير ابراهيم بن أبى عمران وأبو عمران هو سيمجور توفى في شوال سنة ٣٣٦. كذا في كتاب الانساب لابى سعد السمعاني : ٣٢٣ : وليراجع ما قال في حقه من وصف آل سيمجور

عشرة فراسخ من البلد فى موضع وعر صعب المسلك . وتردّدت المراسلات بينهما الى ان تقرّر الامر بينهما على ان ينفذ اليه رهينته فقعل وقاطعهُ عن البلد على الف الف درهم يحملها فى كل سنة وحمل فى الوقت مائة الف درهم منسوبة الى الهدية وغير محسوبة من مال المقاطعة وأقام له الخطبة ثم حمل شيئاً من مال التعجيل وسلك سبيل الوفاء معه . فاشار كوردفير الكاتب على أحمد ابن بويه بان يسرى اليه ناقضاً ما بينهما من العهود فانه سيجدهُ غير متحرّز وأصحابه غارّين لسكونهم الى وقوع الاتفاق وزوال الخلاف فيفوز بأموالهم وذخائرهم ويستولى على ديارهم ويتمّ له ما لا يتمّ لاحد قبله

﴿ ذكر ما كان من عاقبة هذا الغدر والنكث ﴾

أصغى أبو الحسين أحمد بن بويه الى كاتبه ووقع بوفاقه لحداثة سنّه واغتراره [٣٧] فحمل نفسهُ على مفارقة ما يجب عليه فى الدين والمرُوءة . وجمع صناديد عسكره وخلّف سوادهُ وما يجرى مجراهُ واسرى للوقت الى القوم وذلك عند صلاة العصر ليصبّحهم بياتاً . وكان على بن كلويه متيقظاً قد وضع عيونه عليه فسبق اليه الخبر فجمع أصحابه ورتبهم على مضيق بين جبلين كان الطريق فيه فلما توسط أبو الحسين فى الليل مع أصحابه ثاروا به من جميع الجوانب فقتلوا وأسروا رجال العسكر فلم يفلت منهم الاّ اليسيرُ . ووقعت بأبى الحسين أحمد بن بويه ضربات كثيرة كانت ظاهرة فيه وطاحت يده اليسرى وبعض أصابع يده اليمنى والتحن بالضرب فى رأسه وسائر جسده وسقط بين القتلى وورد الخبر بذلك الى جيرفت فهرب كاتبه كوردفير ومن تأخّر من أصحابه : ولما أصبح على بن كلويه أمر بتتبع القتلى والتماس أحمد بن بويه فوجدوه حيّاً الاّ انه قد أشفى على التلف فحمل الى جيرفت واقبل على

ابن كاويه على علاجه وخدمته وبلغ فى ذلك كلّ مبلغ واعتذر اليه وأظهر الغمّ بما أصابهُ . واتصل الخبر بعلى بن بويه فاشتدّ غمّهُ وقبض على كورد فير وأنفذ مكانه (٥٣٨) أبا العباس [1] وخطلخ حاجبه فى النفى رجل ليجمعا ما بقى من سواد معزّ الدولة (أعنى أحمد بن بويه) بالسيرجان وبعضُا من بقى من قلّ العسكر . وانفذ على بن كاويه رُسله وكتبه الى على بن بويه بالاعتذار مما جرى ويوضح له الصورة ويبذل من نفسه الطاعة ويذكر انه ما فارقها ولا خرج عنها فأنفذ اليه على بن بويه قاضى شيراز وأبا العباس الخيّاط وأبا الفضل العباس بن فسانجس وجماعة من الوجوه وأجابهُ بالجميل وبسط عذره وأمضى ما كان قرّره وردّ رهينتهُ وجدّد له عهداً وعقداً . فحينئذ أطلق على ابن كاويه أبا الحسين أحمد بن بويه وأطلق معه اسفهدوست وسائر من كان أسيراً فى يده بعد ان أجمل معاملتهم وخلع عليهم وحمل اليهم آلات والطافاً . فلما وصل أحمد بن بويه الى السيرجان وجد كاتبهُ مقبوضاً عليه وقد جرى عليه مكاره عظيمة أشرف منها على التلف فاستنقذهُ ونصرهُ وبرّأهُ من الذنب وشفع الى أخيه فيه فشفّعهُ وأطلقه .

وتأدّى الى أبى على ابن الياس ماجرى على أبى الحسين وطمع فيه وسار من سجستان حتى نزل البلد المعروف بخُناب فتوجه اليه أبو الحسين (٥٣٩) واشتدّت الحرب بينهما أيّاما الاّ ان عاقبة الامر كانت لابى الحسين فانهزم ابن الياس وعاد أبو الحسين ظافراً . وتتبعت نفسه التشفى من على بن كاويه وطلب الثار عنده فتوجه اليه واستعدّ على بن كاويه واحتشد ثم سار اليه فلما صار بين العسكرين نحو من فرسخين نزل وعملوا على مباكرة الحرب فاسرى

(١) هو الخياط القمى

على بن كلويه فى جماعة من أصحابه وهم قوم رجّالة قادرون على الصدو والمحاربة فيه فوقع على عسكر أبى الحسين ليلا . واتفق ان تغيّمت السماء بمطر جود واختلط الناس فلم يتعارفوا الا باللغات فأثروا فى عسكر أبى الحسين وقتلوا ونهبوا وانصرفوا وبات عسكر أبى الحسين بقية ليلتهم يتحارسون فلما أصبحوا ساروا الى القوم فأوقعوا بهم وقتلوا منهم عدّة وانهزم على بن كلويه ورجع أبو الحسين وقد نقع بعض غلّته الا ان فى صدوه بعدُ حزازات .

وكتب الى أخيه على بن بويه بالبشارة والظفر بابن الياس وانهزامه وبعلى ابن كلويه وهربه فورد عليه الجواب بأن يقف حيث انتهى ولا يتجاوزه وانفذ اليه المرزبان بن خسرة الجيلى أحد قوّاده الكبار ليبادر به الى حضرته ويمنعه (٥٤٠) التلوّم والمراجعة وكاتب سائر القوّاد بمثل ذلك فرجع الى حضرته كارهاً لانه ما كان بلغ ما فى نفسه من على بن كلويه وأصحابه فلما وصل الى اصطخر أقام .

﴿ ذكر ما اتفق له من الخروج الى بلدان العراق حتى ملكها ﴾

واتفق ان أبا عبد الله البريدى وافى فارس فى البحر لاجئاً الى على بن بويه وذلك ان محمد بن رائق وبجكم استظهرا عليه فى عدّة حروب وانتزعا الاهواز من يده واشرفا على انتزاع البصرة منه . فخلّف أخاه أبا يوسف وأبا الحسين على بن محمد (١) بها . فلما ورد حضرة على بن بويه مستصرخا به أكرمه وأحسن ضيافته وبذل له أبو عبد الله اذا ضم اليه الرجال ان يمكّنه من أعمال العراق ويصحّح له أموالا عظيمة من الاهواز ويسلّم اليه ولدَيْن له رهينة . واستقدم على بن بويه أخاه أبا الحسين من اصطخر فلما قرُب منه

(١) وفي الاصل : وعلي بن محمد

تلقّاه فى جميع عسكره وقربهُ ورتبهُ فوق ما كان فى نفسه تسليةً له عن مصيبته ثم أنهضهُ مع أبى عبد الله البريدى فى عسكر قوى وعدة تامة وسار. واتصل خبره بمحمد بن رائق وبجكم فاما بجكم فانه عاد الى الاهواز وكان مع ابن رائق بعسكر أبى جعفر (٥٤١) محاصرين البصرة وأراد ان يمنع الديلم من تورُّد الاهواز وأما ابن رائق فعاد الى واسط والتقى عسكر بجكم وعسكر أبى الحسين بالقرب من رامهرمز وانحاز بجكم الى عسكر مكرم بعد حروب سنذكرها ان شاء الله فى سنة ست وعشرين

﴿ ودخلت سنة خمس وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها أشار أبو بكر محمد بن رائق على الراضى بالله ان ينحدر معه الى واسط ليقرب من الاهواز ويراسل البريدى فان انقاد الى ما يراد منه وان مرق (١) عليه قصده. فاستجاب الراضى الى ذلك وانحدر يوم السبت غرة المحرم واضطربت الحجرية وقالوا : هذه تعمل علينا ليعمل بنا ما عمل بالساجية ونحن نقيم ببغداد. فلم يلتفت ابن رائق اليهم وانحدر بعضهم وتأخر أكثرهم ثم انحدروا الجميع فلما صاروا بواسط عرضهم ابن رائق وبدأ بخلفاء الحجاب وكانوا نحو خمسمائة حاجب فاقتصر منهم على ستين واسقط الباقين ونقص ابن رائق من أقرّ منهم . وأخذ يعرض الحجرية ويسقط منهم للخلاء والبدلاء والنساء والتجار ومن لجأ اليهم فاضطربوا من ذلك ولم يستجيبوا اليه ثم استجابوا وعرضهم وأسقط منهم عدداً كثيراً ثم اضطربوا (٥٤٢) وحملوا السلاح فحاربهم ابن رائق يوم الثلاثاء لخمس بقين من المحرم حرباً عظيمة فكانت على الحجرية فقتل بعضهم وأسر بعضهم وانهزم الباقون الى بغداد

(١) مشطوب فى الاصل وقبله «والا»

فركب لؤلؤ صاحب الشرطة ببغداد [١] وأوقع بالمنهزمين واستتروا فنهبت دورهم وأحرق بعضها وقبضت أملاكهم . فلما فرغ ابن رائق من حرب الحجرية وقهرهم تقدم بقتل من كان اعتقلهم من الساجية فقتلوا سوى صافي الخازن والحسن بن هرون [٢]

فلما فرغ من الساجيّة والحجريّة عمل الراضي بالله وأبو بكر بن رائق على الشخوص الى الاهواز ودفع البريدي عنها واخرجت المضارب الى باذبين وبلغ البريدي ذلك فقلق قلقاً شديداً وأنفذ اليه أبو جعفر ابن شيرزاد وأبو محمد الحسن بن اسمعيل الاسكافي برسالة من الراضي بالله ومن ابن رائق يعرّفان انه قد أخّر الاموال واستبدّ بها وأفسد الجيوش وحسّن لها المروق وانه ليس بطالبيّ يسارع على الملك ولا بجندىّ فيتغنى الامارة ولا من حملة السلاح فيؤهل لفتح البلاد المنغلقة وانه كان كاتباً صغيراً فرفع بعد خمول وعاملا من أوسط العمال فاصطنع وأهّل لجليل [٥٤٣] الاعمال فطغى وكفر النعمة وجازى عن الإحسان بالسوء وخلع الطاعة وانه ان سلّم الجند وحمل المال أقرّ على العمالة والاّ قُصد وعومل بما يستحقّ .

فوافياهُ واخبراهُ بما تحمّلاه ونصحا له فعقد على نفسه كور الاهواز

---

(١) وفى الاوراق . كثر الضجيج من تعدّت أصحاب لؤلؤ للناس ووضع الجبايات عليهم واغرامهم فعزل عن شرطة بغداد ووليها محمد بن بدر الشرابى يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة ٣٢٦

(٢) وفي تاريخ الاسلام : وكان الحسن بن عبد الله بن حمدان قد غلب على الموصل فسار اليه خلق من الساجية والحجرية وهم خاصّكية الخليفة هربوا من محمد بن رائق فاحسن الحسن اليهم —

بثلثمائة وستين الف دينار يحمل منها فى كلّ شهر من شهور الاهلة ثلاثين الف دينار وان يسلّم الجيش ممن يومر بتسليمه اليه ممن يومر عليهم ليخرج بهم الى فارس للحرب اذ كانوا كارهين للعود الى الحضرة لضيق الاموال بها ولاختلاف كلمة الاولياء فيها ولانهم لا يأمنون الاتراك والقرامطة . وكاتبا ابن رائق بذلك فعرضهُ على الراضى بالله وشاور فيه الحسين بن على النوبختى فأشار بالاّ يقبل منه ذلك وان يتم ما شرع فيه من قصده مادام قلبه قد نخب وان يخرج الاهوازمن يده ولا يقارّ بها. وأشار أبو بكر ابن مقاتل بقبول ما بذلهُ واقراره فى ولايته فمال ابن رائق الى الهوينا وقبل رأى ابن مقاتل وكان الرأى الصحيح مع النوبختى وكتب الى ابن شيرزاد وابن اسمعيل وأذن لهما فى العقد والاشهار ففعلا وانصرفا . فاما المال فما حمل منه دينار (٥٤٤) واحدٌ وأما الجيش فانه انفذ جعفر بن ورقاء لتسلّمه والنهوض الى فارس به فوافى جعفر بن ورقاء الاهواز وتلقّاهُ أبو عبد الله البريدى فى الجيش كلّه كوكبةً بعد كوكبة حتى ملأ الارض بهم واسودّت منهم حافّين بأبى عبد الله حوله فورد على جعفر بن ورقاء ما حيرّهُ . ثم انفذت الخلع السلطانيّة الى أبى عبد الله البريدى بالولاية وعُمالة الاهواز فلبسها فى جامع الاهواز وانصرف الى داره فمشى العسكر قوّادهم وفُرسانهم وصميمهم وعبيدهم ورجالتهم بخفاقهم ورايآتهم وأسلحتهم بين يديه فيئس جعفر بن ورقاء وكان راكباً معه وانخزل وسقطت نفسه فلما بلغ داره احتبسهُ واحتبس القوّاد معه والناس وكان يوماً عظيما . ثم أقام جعفر بن ورقاء أياما فدسّ عليه البريدى الرجالّ فشغبوا وطالبوه بمال يفرق فيهم رزقة تامّة للنهوض فاستتر

واستجار بالبريدى فأخرجه وعاد الى الحضرة . وعُنى ابن رائق بأبى الحسين البريدى [1] قبل هذه الحال حتى انحدر من بغداد ولحق بأخويه ولما تقرّر أمر البريدى أصعد الراضى بالله وابن رائق الى بغداد .

ودخل أبو عبد الله الحسين بن على كاتب الامير ابن رائق بغداد [٥٤٥]

﴿ ذكر حيلة أبى بكر ابن مقاتل على الحسين بن على النوبختى ﴾
﴿ حتى عزله عن كتابة ابن رائق ﴾

وكان أبو بكر محمد بن مقاتل متمكناً من ابن رائق التمكّن المشهور منحرفاً عن الحسين بن على النوبختى بعد المودّة الوكيدة وكان هو أوصلهُ الى ابن رائق وأدخله فى كتابته فلهذا ولان الحسين بن على فوقه ومتفرّد بابن رائق (وهو المدبّر للملك والذى بنى لابن رائق تلك الرتبة العظيمة والذى ساق اليه تلك النعمة وجمع له تلك الاموال التى كان مستظهراً بها من ضمان واسط والبصرة) أشار على ابن رائق ان يعتضد بأبى عبد الله البريدى وان يستكتبه ليتفق الكلمة ويجتمع جيش الاهواز الى جيشه وقال له : أيُّها الامير لك فى ذلك جمالٌ عظيم لانه اليوم كالنظير لك فاذا تواضع وصار تابعاً جاز حكمك عليه . وسيقال لك ان البريدى غدر بالسلطان وبياقوت فكيف تثق به ؟ فالجواب عن هذا انه ليس يجمعكما أرضٌ فتتمّ حيلته عليك كما تمت على ياقوت وأنت غير قادرٍ عليه الاّ بحرب وقد يجوز ان تظفر به لو يظفر

---

(١) وفي الاوراق : كان أبو الحسين على بن محمد البريدى قد وافى واسط فأوصلهُ ابن رائق الى الراضي حتى خاطبهُ . . . . وخلع عليه ابن رائق الخلع التى كان الراضى خلعها عليه عندظفره بالحجرية وركب معه

هو فاذا كنا قد انتهينا الى هذه الحال معه فخطأٌ من الامارة الى الكتابة وتصييره تابعاً ثم جذبُ رجاله [٥٤٦] وجيشه بالخدعة أو انفاذهُ مع بجكم ليفتح لنا فارس وأصبهان اولى من دفعه عما سأل وإيحاشه فيحتاط لنفسه ويخيب الرجال وقد حمل الى الامير مع هذا ثلاثين الف دينار هدية هي فى منزلى . وقال له ابن رائق : ما كنتُ لأصرف الحسين بن على مع نصحه لى وتبركي به ولو فتح لى فارس وأصبهان وساقهما الىّ خصوصاً واهداهما لى دون غيرى. قال : أيها الامير فان كرهتَ هذا فضمّنهُ واسطاً والبصرة. فقال : هذا لفعلتهُ ان أشار به أبو عبد الله الحسين بن على . قال : فكتمهُ أيّها الامير خوضنا فى الكتابة ولا تذكرها .

وحضر أبو عبد الله الحسين بن على بعد ذلك وعرض عليه هذا الرأى فضجّ منه وعدد مساوى البريدىّ وغدرهُ وكفرهُ الصنائع منذ ابتداء أمرهم والى ان كاشفوا بالعصيان وأعاد حديث ياقوت ثم التفت الى ابن مقاتل فقال : ما قضيتَ حقّ هذا الامير ولا نصحته . ثم قال : أنا عليلٌ أيها الامير فان عشتُ وأنا معك فهيهات ان يتمّ عليك وان مضى فى حكمُ الله فنشدتك الله ان تأنس بالبريدى أو تسكن اليه بشئ من أصناف حيله . فدمعت عين ابن رائق وقال : بل يحييك الله [٥٤٧] ويهلكهُ (وكان الحسين ابن على عليلا من حُمّى وسعال) ثم انصرف الحسين بن على وابن مقاتل مغضبٌ فقال لابن رائق : قد حمل الرجل اليك ثلاثين الف دينار ولا بدّ من ان تعمل به جميلا فاقبل أحمد بن على الكوفى خليفة لنا بحضرتك ونائباً عنه الى ان ترى رأيك . فقال : أما هذا فنعم

وكتب ابن مقاتل الى البريدى بما جرى وانفذ أحمد بن على الكوفى ووافى حضرة أبى بكر محمد بن رائق بمدينة السلام واختلط به نيابة عن أبى عبد الله البريدى ونقل الحسين بن على النوبختى فتأخر عن الخدمة أياماً. وكان له ابنُ اخ قد صاهرهُ فهو يخالفه في مجلس ابن رائق ويوقع عنه فقال أبو بكر ابن مقاتل للامير ابن رائق: حُسن العهد من الايمان وهو من الامير احسنُ لانه عائدٌ بالسلامة عليّ ولكن اضاعة الامور ليس من الحزم والحسين بن على ميّتٌ فانظرْ لنفسك فان الامور قد اختلّت. فقال: ياهذا الساعة والله سألتُ سنان بن ثابت عنه فقال «قد صلح وخفّ النفث وانه أكل الدُرّاج» فقال: سنان رجل عاقل ولا يحبّ ان يلقاك فيمن تعزّ بما تكرهُ ولا سيّما هو وزير الزمان اليوم ولكن صهرُهُ (٥٤٨) وابن أخيه خليفته احضرهُ وحلّفهُ ان يصدقك. قال: افعلْ. وانصرف ابن مقاتل ودعا علي بن أحمد ابن أخى الحسين بن على وقال له: قد مهّدتُ لك كتبة الامير وواقفتهُ على تقلّدك اياها وهى وزارة الحضرة وعملك ذاهبٌ فان سألك فعرّفه انه ميتٌ لامحالة فانى أعود اليه وأُناجزهُ فيخلع عليك قبل ان يطمع فيها غيرك. فاغترّ على بن أحمد وسأله محمد بن رائق من غد بعد ان أخلى نفسه عن خبر عمّهِ فكان جوابه ان بكى وقال: أعظم الله أجرك أيها الامير فى أبى عبد الله عُدّهُ من الاموات. ثم لطم وجهه فقال ابن رائق: لاحول ولا قوة الاّ بالله أعزعليّ به لو فدى حيٌّ ميتاً لفديتهُ بملكي كلّه. واستدعى ابن مقاتل فقال له: كان الحقّ معك قد يئسنا من الحسين ابن على فانّا لله وانّا اليه راجعون فأى شيء نعملُ؟ فقال: هذا أبو عبد الله أحمد بن على الكوفي نظير الحسين بن على وكانا صنيعتى اسحق بن اسمعيل

النوبختي هو في نهاية الثقة والعفاف وهو خصيص بأبي عبد الله البريدي وان أنت استكتبتهُ اجتمعت لك كفاية الى عفافه واستقصائه وانضاف الى ذلك كلّه حصول أولئك في جملتهم وانقطاعهم (٥٤٩) اليك ونعتدّ على أبي عبدالله انّا قد أجبناهُ الى ما سأل من كتابتك واستخلفنا صاحبه أبا عبد الله الكوفي فقال : استخر الله وافعلْ ولكن عهدة أبي عبد الله الكوفي عليك الاّ يغشّنى ويوتر البريدى في حال من الاحوال . فقال : أنا الضامنُ عن أبي عبد الله الكوفي كلّ ما شرطهُ الامير . فاستكتبهُ فدبّر الامور كلها كما كان يُدبّرها الحسين بن علي واسقط من الكتب التي تكتب عن ابن رائق وكتب « فلان بن فلان » وكان الحسين بن علي يكتب ذلك على رسم الوزارة فكانت مدّة تدبير الحسين بن علي النوبختي لامور المملكة ثلاثة أشهر وثمانية أيام . وكتب أبو بكر ابن رائق الى أبي عبد الله البريدى يعتدّ عليه بما احتال له حتى زحزح الحسين بن علي وساق الامر اليه واستخلف له أبا عبد الله الكوفي فحمل اليه أبو عبد الله البريدي عشرة آلاف دينار التي قدمنا ذكرها واستقلّ الحسينُ بن علي النوبختي وصحّ جسمهُ وعرفي فكتم ذلك عن ابن رائق وتمكن البريديون حتى غلبوا على البصرة .

﴿ ذكر الخبر عما احتالوا به واتفق أيضاً لهم ﴾

لم يمض شهرٌ من استكتاب ابن رائق أبا عبد الله الكوفي [حتى] شرع لابي يوسف البريدى في ضمان (٥٥٠) البصرة وواسط فأشار علي بن رائق بذلك فقال : لا أفعلُ ولا أثقُ بهما . قال له : ولِمَ أيها الامير ؟ أما واسط فأنا مُدبرُها وليس يرد لهم اليها ولا راجل وعليّ توفية مالها وأما البصرة فقد قرّرتُ أمرها على أربعة آلاف ألف درهم على أن يقيم لي بها

ضمناء ثقات . وأشار أبو بكر بن مقاتل بمثل ذلك فأذن ابن رائق فى العقد عليه فقلد أبو يوسف أبا الحسن ابن أسد أعمال الخراج بالبصرة (وكان والى الحرب بها محمد بن يزداد) فخرج أهل البصرة بأجمعهم الى سوق الاهواز لتهنئة البريدى بالولاية وكان جمعهم عظيماً جداً . وكان أبو الحسين ابن عبد السلام الهاشمى وجيه البصرة قد شذ عن ابن رائق لانه قصر به وحط منه بالبصرة فقصد أبا عبد الله البريدي وأبا يوسف أخاهُ فطرح نفسه كلّ مطرح عندهما وأشار اليهما بالغلبة على البصرة وانفاذ العساكر اليها وذكر طاعة الخوَل وأهل الانهار له فأخذ أبو عبد الله فى بناء الشذا آت والزبازب والطيّارات والاستكثار منها حتى اجتمعت له مائة قطعة فى نهاية الوثاقة والجودة . فحين وافاهُ أهل البصرة [٥٥١] للتهنئة قربّهم وأكرمهم ورفع منهم وقال : قد اطّلع أبو الحسين بن عبد السلام على نيّتى الجميلة فيكم ومحبتى لصلاحكم واعداد آلة الماء للجيوش الذين أحصّن بهم بلدكم من القرامطة وكنت مستغنياً عن ضمان البصرة اذ لا فائدة لى فيها وانما امتعضتُ لكم من ظلم ابن رائق ومحمد بن يزداد خليفته لكم وتحملت فى مالى أربعة آلاف دينار فى كلّ شهر بازاء ما كان يؤخذ من الشرطة والمآصير والشوك تخفيفاً عنكم [١] وقد ازلت جميعها وهذا خطى برفعها عنكم. ووقع بذلك توقيعاً وسلمه اليهم وكثر الدعاء والضجيج بشكره ثم قال لهم : انه سيبلغ هذا ابن رائق فينكره ويوحشه منى ويصير سببا للعداوة بينى وبينه ووالله ما أبالى ان يعادينى اخواى أبو يوسف وأبو الحسين وابنى أبو القاسم فى صلاحكم لانى أعلم أن فيكم بنى هاشم وطالبيين وأولاد المهاجرين والانصار ومن حرمة

(١) وفي التكملة : الرسوم الجائزة عنكم

الاسلام صياتكم وانى لاقدر ان الله عز وجل يغفر لى كل ذنب بازالة الاذية عنكم وسيروم ابن رائق ردّ ما قد ازلته عنكم من هذا الحُطام الذى كان يأخذه فأين السواعد القويّة والنفوس [٥٥٢] الابيّة التى حاربت على ابن أبي طالب صلوات الله عليه ! فمتى رام ابن رائق نقض ما عملت فاضربوا وجهه ووجوه أصحابه بتلك السواعد والسيوف وأنا من ورائكم . ثم ذكر أهل البصرة بايامهم مع عبد الرحمن بن الاشعث ومحمد وابراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن [١] وقال: لتكن قلوبكم قوية وآمالكم فسحة ونفوسكم شديدة فى مجاهدة عدوكم . ثم وقع للنفقة على المسجد الجامع بالبصرة بألفى دينار وقال : بلغني أنه خراب . وعرضت عليه الرقاع بالحاجات فوقع بحظائط ونظر وصلات وتخفيف فى المعاملات بألفى ألف درهم وانصرفوا عنه وقد صاروا سيوفه . وسير اقبالا غلامه وحاجبه وكانت له نوبة مع أبي جعفر الجمّال وضم اليه ألفى رجل وقال : اقيموا بحصن مهدى الى أن نكاتب اقبالا الحاجب بالمسير بهم الى البصرة . واتصل ذلك بابن يزداد فقامت قيامته .

وفي هذه السنة قلد محمد بن رائق أبا الحسين بحكم الشرطة بمدينة السلام [٢] وقلد الحسين عمر بن محمد قضاء القضاة مع الاعمال التى اليه .

وأمر الغلمان الحجرية المستترين ببغداد فظهروا وصاروا اليه بالسلاح فعرضهم وامضى من جملتهم نحو ألفى رجل واثبتهم برزق مستأنف [٥٥٣] على ما رآه واسقط الباقين وأخرج من امضاه وقرر رزقهُ الى الجبل فلما صاروا بطريق

(١) زاد فيه صاحب التكملة: متى أخذكم ضيم فصبر. وبايع أهل البصرة ابن الاشعث فى سنة ٨١ طبرى ٢ : ٢٠٦٢ وأما ابرهيم فقدم البصرة سنة ١٤٥ : طبرى ٣ : ٢٩٨ وليراجع قول أبي حنيفة فى خروجه على المنصور في ارشاد الاريب ١ : ٢٨٦ س ١٠

(٢) وزاد فيه : صاحب التكملة وأنزله في دار محمد بن خلف النيرماني على دجلة

خراسان أجمع رأيهم على المضى الى الاهواز فمضوا الى أبي عبد الله البريدي فقبلهم وأضعف أرزاقهم وخاطبهم بالترفّي لهم مما جرى عليهم من ابن رائق والتعجب منه ووعدهم الاحسان التامّ . وأظهر للسلطان وابن رائق انه لم يكن به طاقة لما صاروا اليه أن يدفعهم وانه اضطرّ الى قبولهم وجعلهم حجة فى قطع ما كان ووُقف على حمله واحتج بأنهم اجتمعوا مع الجيش ومنعوه من حمل مال البلد وغلب على الاهواز والبصرة . فصارت الدنيا فى أيدى المتغلبين وصاروا ملوك الطوائف وكلّ من حصل فى يده بلد ملكه ومنع ماله

فصارت واسط والبصرة والاهواز فى أيدى البريديين وفارس فى يد علي بن بويه وكرمان فى يد أبي علي ابن الياس واصبهان والرى والجبل فى يد أبي علي الحسن بن بويه ويد وشمكير يتنازعونها بينهما والموصل وديار ربيعة وديار بكر فى أيدى بنى حمدان ومصر والشام فى يد محمد بن طغج[1] والمغرب وافريقية فى يد أبي تميم والاندلس فى يد الاموى[2] وخراسان فى يد نصر بن

---

(١) قال أبو بكر الصولى في الاوراق: ما رأيت الراضي يقرظ أحداً تقريظه الامير أبي بكر محمد بن طغج فانه كان يصفه ويرضى جميع ما هو عليه واذا جاء هدية من قبله استحسن جميعها وفرق علينا منها وكان يقول اذا ذكره : رجل كبير العقل حسن الطاعة يشبه اجلاء الموالي الماضيين ما أدري بما أكافئه . ثم أمر فكتبت عنه كتب بأنه قد سماه الاخشاذ (كذا) وأمر أن يسميه به جميع الناس . ولما جاءته هديته فى آخر أيامه التى كان فيها الخدم الذين يغنون ويرقصون قال . لقد خصني بما لم يملك مثله خليفة قط. وكان ربما قال بغير حضرة من لا يثق به : لو كان مثله عندي وكان جيشه لكان هذا الجيش فانه أشبه بجيش ابائى وأشد تمسكا بطاعتي (٢) هو الناصر لدين الله أبو المطرف عبد الرحمن بن محمد . وقال صاحب تاريخ الاسلام : ولا يتسم أحد بأمير المؤمنين من أجداده أنما يخطب لهم بالامارة فقط فلما كان سنة ٣١٧ وبلغه ضعف الخلافة بالعراق وظهور الشيعة بالقيروان تسمى بأمير المؤمنين

أحمد واليمامة والبحرين وعمر في يد أبي طاهر ابن أبي سعيد [٥٥٤] الجنابي وطبرستان وجرجان في يد الديلم. ولم يبق في يد السلطان وابن رائق غير السواد والعراق. ولما حصلت ديار مضر خالية قد خربت وضاق مالها عن كفاية السلطان خرج عنها بدر الخرشني وكان يتولى الحرب بها وعاد الى الحضرة فلما خلت من صاحب معونة قصدها علي بن حمدان فغلب عليها. وزاد في مرض أبي عبد الله الحسين بن علي النوبختي ما رآه من انتقاض كل ما كان نظمهُ وما تمّ عليه من الحيلة فآل أمرهُ الى السلّ. [١]

وفي هذه السنة انكشفت الوحشة بين محمد بن رائق وبين البريديين.

﴿ ذكر السبب في ذلك ﴾

اتفق ان وافى أبو طاهر القرمطي الكوفة فدخلها في شهر ربيع الآخر من سنة ٢٥ فخرج ابن رائق من بغداد ونزل في بستان ابن أبي الشوارب بقنطرة الياسرية وانفذ أبا بكر ابن مقاتل برسالة الى أبي طاهر الهجري وكان أبو طاهر يطالب بان يحمل اليه السلطان في كل سنة مالا وطعاما بنحو مائة وعشرين الف دينار ليقيم في بلده وبذل له ابن رائق بان يحمل ما التمسهُ رزقا لاصحابه على ان يكسر لهم السلطان جريدة [٣] وينفق فيهم ويدخلوا في الطاعة ويستخدموا. وجرت خطوبٌ [٥٥٥] بينهما ومخاطباتٌ انصرف معها أبو طاهر الى بلده من حيث لم يتقرّر له أمرٌ مع ابن رائق. وبلغ ابن رائق الى قصر ابن هبيرة ثم عاد منها الى واسط وكاشف البريدي واستوزر أبا الفتح

---

(١) زاد هاهنا صاحب التكملة: وقبض أبو عبد الله أحمد بن علي الكوفي على محمد بن يحيى بن شيرزاد وصادره على مائة وعشرين الف دينار (٣) وفي كتاب العيون: ويجعل لهم بذلك جريدة في الديوان ويدخلوا الخ

الفضل بن جعفر بن الفرات .

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان ظنّ ابن رائق انه اذا استوزر أبا الفتح جذب له الاموال من مصر والشام فقدم أبو الفتح من الشام [1] ولزم سليمن بن الحسن منزله . وكان حمل اليه الخلع قبل وصوله الى بغداد فوصلت اليه وهو بهيت فلبسها ثم دخل بغداد واقرّ أبا القاسم الكلواذى [2] على ديوان السواد واستخلف بالحضرة أبا بكر عبد الله بن على النفّري وهو زوج أخته وكتب السلطان فى استيزاره أبا الفتح كتابا نفذ الى أصحاب الاطراف .

ولما بلغ ابن رائق ما خاطب البريدى به أهلَ البصرة قلق وتغير للكوفى واتّهمهُ وهمّ بالقبض عليه فحامى عنه أبو بكر ابن مقاتل ثم رأى انه يغالط ابن البريدى بكتاب اليه فقال للكوفى. انه بلغني ان صاحبك خاطب أهل البصرة بما أنا معرض عنه فانه ربما وقع التزيد في مثله ولكن أكتب اليه . ان الذى أنكرته قبولك الحجرية فأما اذا تردهم واما ان تطردهم (٥٥٦) وان استأذنوكَ فى ناحية يقصدونها فاضممْ اليهم من رأيتَ من قوّادك وانفذهم الى الجبل وهذا العسكر الذى أنفذتهُ الى حصن مهدى فانا أعلمُ انه لما اتصل ورود الهجرى الى الكوفة استظهرت بانفاذهِ ليعين من فيها عليه ان احتيج الى ذلك وقد استغنى الآن عنهم وفى مقامهم بالحصن مع الاستغناء عنهم تسليط الظنون السيئة عليك وايجاد اعدائك سبيلا الى التضريب بيني وبينك وبلغني انك قد كنتَ أنفذتَ أبا جعفر محمداً غلامك الى السوس

(١) كان قدم مصر في هذه السنة : كذا في كتاب الولاة للكندى ص ٢٨٧

(٢) قال صاحب التكملة : وفي سنة ٣٤٠ مات أبو القاسم الكلوذاني بعد الفقر

(وكان قد أنفذه على الحقيقة) وأمرته ان يقصد الطيب ويقيم بها اشفاقا من أن يلحقني وهنٌ من القرامطة فان احتيج اليه لحماية واسط كان قريباً واني لما وافيتُ كاتبتهُ بالانصراف فعاد الى الاهواز وهذا مشكورٌ فاعملْ في أمر اقبال ومن أنفذتهُ الى حصن مهدى كهذا العمل ثم أنا لك على الوفاء . فكتب الكوفي بهذا كله فكان الجواب : ان جيشه القديم متشبثون بالحجرية لانهم أقاربهم وبين القوم وصلٌ ورحمٌ وبلديةٌ ولا يمكن إخراجهم جملةً واحدةً ولكنه على الايام يفرّق شملهم وان الاخبار تواترت بان القرمطي لما انصرف عن الكوفة قصد البصرة واستجار به أهلها فانفذ(٥٥٧) هذا العسكر اشفاقا عليها وانهم قد حصلوا بها .

وكان البريدي ساعة ورود الخبر عليه بنزول ابن رائق واسط انفذ الى من بحصن مهدى بدخول البصرة فدخلوها بعد ان انفذ من الحجرية قطعةً وافرة لمعاضدتهم على دخولها . واخرج محمد بن يزداد مكان الصغدي وتكين وكانا تُركيين من شحنة البصرة لحربهم فوقعت بينهم وقعة في نهر الامير انهزم بها الراقية ثم زاد محمد بن يزداد في عدتهم بالاثبات وبغلمان نفسه فكانت الوقعة الثانية بكسرايان وبينها وبين الابلّة فرسخٌ فانهزم الراقيّة هزيمة ثانية ودخل اقبال وجيش البريدي البصرة . وأما محمد بن يزداد صاحب ابن رائق فانه فتح باب البصرة وهرب على طريق البرّ الى الكوفة وأما مكان وتكين ورجال الماء الراقية فانهم اهتدوا في زبازبهم الى واسط . وورد الخبر على ابن رائق بحصول اقبال غلام البريدي وأصحابه بالبصرة وجواب كتاب الكوفي في أيام متقاربة فانفذ رسولا الى البريدي برسالة

قسمها بين ارغاب وارهاب ووعد ووعيد فكان من جوابه : انه لا يمكنه ردّ رجاله من البصرة لان أهلها قد أنسوا بهم واستوحشوا من قبيح (٥٥٨) ما عاملهم به ابن يزداد في أيامه لان القرمطي طامعٌ في البلد وليس يأمن متى كاتبهم بالانصراف ان يدخل القرامطة الى البصرة ضرورة لئلا تعود المعاملة بين أهلها وبين ابن يزداد بعد ان كاشفوه .

وقد كان امرى أهلُ البصرة في نهاية الاستيحاش من ابن رائق ومحمد بن يزداد فان محمد بن يزداد سار بهم سيرة سدُوم وظلمهم في معاملاتهم ظلماً مفرطاً وساءهم الخسف وكانوا قد اعتادوا العزّ وقدّروا بالبريدي خيراً ثم رأوا منه ومن أخويه ما ودّوا انهم أكلوا الخرشف والخرنوب وصبروا على محمد بن رائق ومحمد بن يزداد ومعاملته . ولما عاد الرسول بالجواب كان ابن رائق قد استدعى بدرا الخرشني وأكرمهُ وخلع عليه خلعاً سلطانيّة وحملهُ . وترجح الرأى في تسيير الجيوش الى الاهواز والبصرة ثم استقرّ الرأى على ان يقلّد بجكم الاهواز بعد حديث لبجكم في ذلك مع ابن مقاتل سنذكرهُ فيما بعد ان شاء الله . وخلع عليه ابن رائق لذلك وسيرهُ وبدراً الخرشني الى الاهواز وضمّ اليه ابن أبي عمدنان الراسبي (١) دليلا ومعيناً وانفذ حاجبه فاتكا وعبد العزيز الرائقي وأحمد بن نصر القشوري وبرغوثا وأمرهم ان يقيموا (٥٥٩) بالجامدة ويحصل جيش البريدي بين حلقتي البطان فبادر بجكم ولم يتوقف على بدر الخرشني ونفذ امامهُ فوصل الى السوس واخرج البريدي محمداً غلامهُ المعروف بأبي جعفر الجمّال في عشرة آلاف

(١) وليراجع ماقال في حق أبي عدنان ياقوت الحموي في معجم البلدان ٢ : ٦١٧ في مادة « دور الراسبي »

رجل بأتم آلة وأكمل سلاح للحرب فوقعت الحرب بظاهر السوس ومع بجكم مائتان وتسعون غلاماً من الاتراك فانهزم البريدية يوم نزول بدر بالطيب وقال بجكم : انما بادرتُ وحملتُ على نفسي ما حملتُ ولاقيتُ هذه العدة العظيمة بهذه العدّة اليسيرة لئلا يشركني بدلٌ في الفتح .

وعاد ابو جعفر الجمّال الى أبي عبد الله البريدي فصفعهُ بخفّه وقال : انهزمتَ مع عشرة آلاف من بين يدى ثلثمائة غلام . فقال له : أنتَ ظننتَ انك تحارب ياقوتا المدبر وجيشهُ المدابير قد والله جاءك من لتّ بجكم والاتراك خلاف ما عهدت من سودان باب عمان والمولّدين . فقام اليه فلكمهُ بيده ثم قال له : قد انفذتُ أبا الخليل الديلمي ومن معى من العجم ومن كان يخلّف بالاهواز فى ثلاثة آلاف رجل الى تستر فانفذ الساعة معمن صحبك اليها حتى تجتمع معهم وتعاود الحرب . فقال : افعلُ وسنعود اليك هذه الكرّة بأخزى من الكرّة الاولى لان [٥٦٠] هيبة بجكم قد تمكنت فى نفوس أهل العسكر . ونفذ الوقت فى ثلاثة آلاف رجل ووافى بجكم الى نهر تستر فطرح نفسهُ وغلمانهُ أنفسهم فى الماء للعبور سباحة وكان الماء قليلا فانهزم القوم بغير حرب وعادوا الى ابى عبد الله . فخرج فى الوقت مع أخويه وجلسوا فى طيّار ومعهم حديدىّ فيه ثلاثمائة الف دينار كانت فى خزائنهم فغرقت بالنهروان وغرق الطيّار وأخرجهم الغوّاصون واخرج لبجكم بعضُ المال . فقال أبو عبد الله : ما نجونا والله من الغرق بصالح أعمالنا ولكن لصاعقة يريدها الله بهذه الدنيا . فقال له أبو يوسف : ويحك ماتدعُ التنادُر فى هذه الحال ! ثم وافوا البصرة ودخل بجكم الاهواز وكتب الى ابن رائق بالفتح .

ولما وصل أبو عبدالله الى الابلّة ومعه أخواهُ أنفذ اقبالا غلامهُ الى مطارا وأقام هو وأخواهُ في طيّاراتهم وأعدّوا ثلاثة مراكب للهرب منها الى عمان ان اتفق على اقبال بمطارا من الهزيمة مثل ما تمّ على أبي جعفر بالسوس. واخرج أبو عبد الله البريدى أبا الحسين ابن عبد السلام لمعاضدة اقبال فانهزم الراشقية وأسر برغوث وحمل به الى البريدى فأطلقه وكتب الى ابن رائق كتاباً يستعطفه (٥٦١) فيه وأنفذه اليه مع برغوث ودخل البريديون الثلاثة الى الدور فنزلوها وسكنوا واطمأنوا ولم يمكن بجكم أن يسير من الاهواز لخلو الاهواز من آلة الماء وشغب رجال بدر عليه فانصرف الى واسط وملك بجكم الاهواز. ولما عرف ابن رائق ماجري على رجاله فى الماء أنفذ أبا العباس أحمد بن خاقان وجوامرد الراشقى الى المذار على الظهر لمحاربة البريدى واخراج أصحابه وسير بدرا الخرشني الى البصرة فى الماء فى شذاآت مقيرة بناها بواسط فانهزم الراشقية من المذار وأسر أبو العباس ابن خاقان ورجع جوامرد الى واسط وأحسن البريدى الى ابن خاقان واستحلفه الا يعود لمحاربته ولا يشايع عليه وأطلقه . واتصل خبر هذه الهزيمة بابن رائق فسار بنفسه من واسط الى البصرة على الظهر وكتب الى بجكم أن يلحق به الى عسكر أبي جعفر فاتفق ان سار بدر الخرشني فى الماء الى نهر عمر وواقى الى البصرة وملك شاطىء الكلاّ وحصل اقبال غلام البريدي فى حدود واسط لما عرف خروج ابن رائق عنها وبلغ ابن رائق ذلك فرد فاتكا حاجبه الى واسط ليحفظها

ولما ملك بدر الخرشني الكلا هرب أبو عبد الله البريدى للوقت الى جزيرة أوال وخرج من كان بالبصرة من الجند لدفع (٥٦٢) بدر وانضاف

اليهم عالم عظيم من العامة فاضطر بدر الى الافراج عن شاطىء الكلاّ وحصل بالجزيرة التى بازائه واستتر أبو يوسف البريدى وركب أخوه أبو الحسين بحضّ الجند والعامة ووافى بجكم الى ابن رائق وهو فى عسكر أبى جعفر يوم ورود بدر الكلا ولما كان وقت العصر عبر ابن رائق وبجكم دجلة البصرة ودخلا نهر دبيس وتبعهما احمد بن نصر القشوري فرمي بالحجارة وغرق زبزبه واجتمع بدر وابن رائق وبجكم فى الجزيرة [1] فشاهدوا أمراً عظيما وخطباجليلا من العامة وتكاثرهم عليهم فقال بجكم لابن رائق: ما الذى عملت بهؤلاء القوم حتي قد احوجتهم الى ماخرجوا اليه؟ فقال: لا والله ما أدرى وانصرف بجكم وابن رائق الى عسكر أبى جعفر ولما جنّ الليل وجاء المد انصرف بدر اليهما . وبلغ اقبالا خبر بدر فى نفوذه فى الماء الى البصرة من الجامدة ومخالفته اياه الطريق فكرّ راجعا ووافى فى اليوم الثانى وقت العصر الى شاطىء الكلاّ ونفذ الى شاطىء الابلة وحال بين ابن رائق وبجكم وبدر وبين الابلّة وصارت الحرب فى دجلة وطالت المنازلة

ونفذ أبو عبد الله البريدى من جزيرة أوال الى فارس واستجار بعلى ابن بويه فأنفذ معه (٦٦٣) أخاه أبا الحسين أحمد بن بويه لفتح الاهواز وورد الخبر بذلك على ابن رائق وأصحابه فتقدم ابن رائق الى بجكم بالمبادرة

(١) قال أبو بكر الصولى فى الاوراق : ورد الخبر بوقعة كانت لابن رائق على دجلة البصرة ودخل نهر معقل ووافي البصرة فعجل بعض أصحابه فطرح حريقاً في جزيرة جبال البصرة وكان يبلغ أهل البصرة انه يريد قتلهم واحراق بلدهم وخاطب بذلك بعض رؤساء البصرة ممن قصده . فلما رأى ذلك أهل البصرة أعانوا البريديين فهزم ابن رائق وافلت هو وبجكم من أن يؤخذا ورجع الى دجلة البصرة فعسكر بموضع يعرف بعسكر أبي جعفر فهو معقل . فلما طال الامر عليه صاعد الى واسط

الى الاهواز لحمايتها فقال بجكم : لست أحارب الديلم وأدفعهم عن الاهواز الا بعد ان تحصل لى أمارتها حربا وخراجا وأنت تعلم انى ما صبرت لابى العباس الخصيبى لما تلدته الاهواز حتى صرفته اصبر لعلى بن خلف بن طناب أن يتحكم في بلد أحارب عنه ؟ (وكان على بن خلف بالاهواز من قبل الوزير أبى الفتح) فضمن ابن رائق بجكم الاهواز وكورها بمائة وثلاثين ألف دينار محمولة في السنة على أن يوفي رجاله مالهم ويستوفى ماتخصه وغلمانه وأقطعه اقطاعا بخمسين ألف دينار . ولما كان بعد شهر أو دونه من نفوذ بجكم الى الاهواز انصرف ابن رائق أيضا من عسكر أبى جعفر ومضى الى الاهواز وأحرق مابقى من سواده لاتفاق سيىء اتفق عليه

﴿ ذكر اتفاق سيىء اتفق على ابن رائق حتى انهزم ﴾
﴿ الى الاهواز وأحرق سواده ﴾

كان طاهر الجيلى وافى الى واسط مستأمناً الى ابن رائق فلم يجده بها وقصدهُ الى عسكر أبى جعفر فتلقاهُ في طريقه كتاب ابنه وجاريته بحصولهما فى يد ابن البريدى لان أبا عبد الله كان[٥٦٤] بفارس فقبل ابنه وجمع بينه وبين الجارية فعبر بالليل فى مائتى رجل . وزعق بابن رائق وبدر الخرشنى ووازرهُ جميع أصحاب البريدي من عسكر الماء فاما بدر فانه انهزم الى واسط وأما ابن رائق فانه مضى الى الاهواز وأكرمه بجكم وخدمه وأشير على بجكم بالقبض عليه فلم يفعل وأقام أياما حتى وافاه من واسط فاتك غلامه ثم سار اليها وخلف بجكم بالاهواز

وأما حديث بجكم مع ابن رائق الذي وعدنا به فهو ما حكاه ثابت ابن سنان عن والده سنان

﴿ ذكر حكاية عن بجكم تدل على حصافة وبعد غور وكبر همة ﴾

قال ثابت : حدثني والدي ان بجكم قال له بعد ان ملك الحضرة وازال أمر ابن رائق في عرض حديث جرى بينهما : سبيل الملك اذا حزبهُ أمرٌ من الامور ان يكون جميع ما يملك من مال وغيره أقل في عينه من التراب وان يحذف جميعه كما حذفتُ هذه الحصاة فيما يقدر به زوالُ ماقد أظلهُ فان دولته اذا ثبتت أمكنهُ ان يستخلف اضعاف ماخرج عن يده وان هو بخلَ وشحَّت نفسهُ وتهيَّب إخراج مافي يده ذهبَ ما بخل به وذهبت معه نفسه. اذكُر وقد قلَّدني ابن رائق الاهواز ولم يكن ما فعلهُ من ذلك برأي أبي بكر ابن (٥٦٥) مقاتل ولا شاوره فيه فلما بلغ ابن مقاتل الخبر شق عليه ذلك جدًّا وبادر الى ابن رائق وقال له : أيَّ شيءٍ عملتَ قد عزمت على ان تقلِّد بجكم الاهواز ؟ قال ابن رائق : نعم . قال : قد أخطأتَ على نفسك نهاية الخطأ أنتَ لاتقوى ببني البريدي وهم كتَّابٌ أصحاب دراريع ولا يمكنك صرفهم ولا انتزاع المال (١) من أيديهم تقلِّد رجلا تركيا صاحب سيف ! انما صحبك قريباً مثل الاهواز ماهو الاَّ ان تحصل الاهواز في يده ويرى جلالتها وحسنها وكثرة أموالها وما يحصل عنده من الجيش بها حتى تحدِّثه نفسه بالتغلُّب عليها ثم لا يقتصر عليها حتى يطمع في غيرها وتنازعهُ نفسه الى ان ينازعك أمرك ويزيلك عن موضعك ويصير هو مكانك ليأمن على ما حصل له ولا يكون له منازعٌ عليه وأنتَ الساعة على طمع في ان تنتزع البلد من يد البريدي فان قلَّدتهُ بجكم فاحسمْ طمعكَ عنها وأخرجها من قلبك واصرف همتك الى حفظ غيرها وليته ينحفظ ! واحفظ مهجتك فقد عرَّضتها للتلف. فقتأ رأى

(١) لعله « الملك »

ابن رائق وصرفهُ عما عزم عليه فى أمرى ولعمرى لقد صدقهُ ونصحهُ وأشار بالرأى الصحيح (٥٦٦)

وبلغنى ماجرى بينهما فقامت قيامتى منه ورأيتُ انه يفوتنى ماحدّثتُ نفسى به من الملك فقلقتُ وشاورتُ محمد بن ينال الترجمان فلم يكن عنده رأى فأخذ يسلّيني ويقول لى : أنت فى نعمة وراحة ومحلك من هذا الملك محلّ الاخ. فقلتُ له : أنتَ أحمقُ امض حتى تعدّ سميريّة فى هذه الليلة المقبلة . وعملت على قصد ابن مقاتل وعلمتُ انه تاجر عامّى صغير النفس وان الدرهم ليعظم في نفوس أمثاله فلما كان الليل ونام الناس حملتُ معي عشرة آلاف دينار ونزلت الى السميريّة وأخذت معى محمد بن ينال وحدهُ ولم آخذ (١) غلاماً وصرتُ الى بابه فوجدتهُ مغلقاً ودققتُ فخاطبنى بوّابهُ من وراء الباب واعلمنى ان الرجل نائمٌ وان الابواب بينى وبينه مغلقة فقلت له : دُق الباب وانبههُ فانى حضرت فى مهمّ . ففعل ودخلتُ اليه وقد انزعج عن فراشه لحضورى فى مثل ذلك الوقت فقال : ما الخبر ؟ فقلتُ : خيرٌ وأمرٌ أردتُ ان القيه اليك على خلوة فانتظرتُ نوم الناس وخلوّ الطريق ولم آخذ معى غير الترجمان ولولا أنى أردتهُ ليترجم بينى وبينك لما أحضرته ولا أطلعتهُ على ما أخاطبك به . (قال) فقال : قل ما تحبّ . قلتُ : قد علمت ما كان عزم عليه الامير (٥٦٧) فى بابى من تقليدى الاهواز وبلغنى انه توقف عن ذلك ولستُ أعرفُ سبب توقّفه وفى إبطاله ما عزم عليه بطلان جاهى بعد اشتهاره وغضّ منى ولا يشك أحدٌ انه لسوء رأى. وأنا صنيعتك وصنيعته وغرسكما وان لم أحفظ فى أيّامكما فتى أحظى وأىّ مقدار يكون لى

(١) فى الاصل «أجد»

عند الناس ؟ وهذه عشرة آلاف دينار قد حملتها الى خزانتك وأنا أعلم انه يزول ملكك وأريد ان تشير عليه بامضاء ما كان عزم عليه . فلما رأى الدنانير تخرق وقال : دعني وانصرف فى حفظ الله . فتركت الدنانير بحضرته وانصرفت وأنا واثق بحصول الاهواز لى فلما كان بعد ثلاثة أيام صار ابن مقاتل الى ابن رائق فقال له : اشرتُ بذلك الرأى على الهاجس وظاهر النظر فلما تأملت الحال وجدتُ الصواب معك لانك ان تركتَ الاهواز فى يد ابن البريدى واخوته بعد ما حصل لهم من الاموال ازداد كلّ يوم قوّة وطمعاً ومدّوا أيديهم الى غيرها من أعمالك وبلدانك ودبّ فسادهم الى عسكرك بكثرة ما يبذل ويعطى ولا يبعد بعد ذلك منازعتهم لك على أمرك هذا وان خرجت اليهم بنفسك فهى حرب ولا تدرى كيف تكون فان كانت عليك لم تشدّ منها حزاماً أبداً . وان وجهت [٥٦٨] بغير بجكم استضعف وغلب وكسر ذلك قلوب أصحابك ولأن تصدمهم بمثل بجكم وهم لا يطمعون فى مقاومته أصلحُ فان حصل له البلد استأصل شافتهم ثم أنت مالك أمرك ان شئتَ أقررته وان شئتَ صرفته قبل ان يتمكن وقبل ان يجتمع أمره ويحدث نفسه بشئ تكرهه فاستخر الله وامض أمرَهُ . فقبل رأيه وامضى أمرى وقلدنى ولم استقل ولاية الاهواز بذلك المال . وباع ابن مقاتل روحه وروح صاحبه ونعمته بعشرة آلاف دينار واستخلفت انا مكانَ الدنانير اضعافها وحصل لى ملك ابن رائق .

﴿ شرح حال أبى الحسين أحمد بن بويه وأبى عبد الله البريدى ﴾

﴿ فى قصدهم الاهواز لمحاربة بجكم وذلك فى سنة ٣٢٦ ﴾

(ودخلت سنة ستّ وعشرين وثلثمائة)

قد ذكرنا حال أبي عبد الله البريدي وقصده على بن بويه وانه تقدّم الى أخيه أحمد بن بويه بالمسير الى الاهواز معه. وخلف أبو عبدالله البريدي عند على بن بويه ابنيه أبا الحسن محمد وأبا جعفر القيّاض رهينة وسار مع الامير أبي الحسين أحمد بن بويه الى الاهواز . وورد الخبر على بجكم بنزول أحمد بن بويه ارّجان فخرج بجكم لحربه فانهزم من بين يديه وكان أوكد (٥٦٩) الاسباب فى هزيمته ان المطر اتصل أياما كثيرة فعطلت القسىّ ومنع ذلك الاتراك ان يرموهم بالنشاب فعاد بجكم وأقام بالاهواز . وقطع قنطرة اربق واتفذ محمد بن ينال الترجمان الى عسكر مكرم ووقعت المنازلة بينه (١) وبين محمد بن ينال الترجمان ثلاثة عشر يوماً . ثم عبر أحمد بن بويه بخمسة من الخاصة فى سميريّة الى مشرعة يعرف بمشرعة الحماس (كذا) فهزموا من كان رتّب فيها وما زال يعبر بقوم بعد قوم حتى حصل ثلثمائة رجل فى الجانب الغربى ثم ضربوا بالبوق واشتلموا فانهزم الترجمان وأخذ الى تستر . وبلغ الخبر بجكم فعبر دجلة الاهواز وقبض على الوجوه بها وفيهم ابن أبي علان وأبو زكريا السوسى وحمل الجميع معه والتقى مع الترجمان بالسوس وسار بجميع عسكره الى واسط

ولما حصل بالطيب كتب الى ابن رائق بالخبر وانه قد حرب هو ورجاله فلم يبق لهم حالٌ وان الرجال سيطاولونه وان كان عنده مائتا الف دينار ينفقها فيهم فانهم فقراء فالوجه ان يقيم وان كانت متعذّرة فالصواب ان يصعد الى بغداد فانه لا يأمن ان يقع شغب ولا يدرى عن أى شىء ينكشف.

(١) فالواضح انه « بين معز الدولة أحمد بن بويه » كما في التكملة

فرهب ابن رائق هذه الحال وبادر وخرج الى [٥٧٠] بغداد بعسكره ودخل بجكم وأصحابه واسطا وأقاموا بها . واعتقل الاهوازيين وطالبهم بخمسين الف دينار فقال أبو زكريا يحيي بن سعيد : أردت ان أسبر ما في نفسه من طلب العراق فراسلته وقلت له : أيها الامير أنت مطالب بملك ومرشح نفسك لخدمة الخلافة تعتقل قوما منكوبين قد سلبوا نعمهم وتطالبهم بمال في بلد غربة وتأمر بتعذيبهم حتى جعل في امسنا طشت فيه جمر على بطن سهل بن نظير الجهبذ أولا تعلم ان هذا اذا سمع به أوحش منك وحاربك وعاداك من لا يعرفك ولا سمع بخبرك فضلا عمن تحقق فعلك هذا أو ما تذكر انكارك على الامير ابن رائق بالامس إيحاشه أهل البصرة وعوامّ بغداد اضعافهم وقد حملت نفسك في أمرنا على مثل ما كان يعمله مرداويج بأهل الجبل وهذه بغداد ودار الخلافة لا الريّ واصبهان ولا تحتمل هذه الاخلاق . فلما سمع ذلك انحلّ وأمر بحلّ [١] القيود وازال المطالبة ثم شفع ابن رائق وابن مقاتل والكوفي في يحيي بن سعيد السوسي فاطلقه واختصّهُ لعقله ولما تبينه من نفاقه على كل أحدٍ وشفّع يحيي بن سعيد في الباقين وكمّل بهم فاطلقهم .

ولما عرف علي بن بويه حصول [٥٧١] طاهر الجيلي بالبصرة وفي نفسه عليه ما كان عامله به بارجان كتب الى أخيه أبي الحسين ان يطالب أبا عبد الله البريدي به ويقبض عليه ففعل ذلك وانفذ الى فارس . ولما انهزم الترجمان عبر أحمد بن بويه الى غربي عسكر مكرم وجلس على شاطئ المسرقان ومعه أبو عبد الله البريدي حتى عقد الجسر الاعلى بها وعبر باقي رجاله من غد . وعاد اليه جواسيسه من سوق الاهواز وعرّفوه انه لم يبق بها أحدٌ ونزل

(١) الكلمتان « وأمر بحل » زدناهما من التكملة

البريدى داراً على شاطىء نهر المسرقان ووافاهُ أهل الاهواز باجمعهم مهنئين وداعين . وكان يحمّ الربع وفيمن حضرهُ يوحنا الطبيب وكان متقدّماً فى صناعته فقال له أبو عبد الله البريدى : اما ترى يا أبا زكريا حالى ؟ فقال له : خلّط (يعنى فى المأكول) لترمى بالأخلاط . فقال له : أكثر بما خلطتُ يا أبا زكريا قد أرجحتُ مابين فارس والحضره فان اقنعك ذلك والاّ ملت الى الجانب الآخر وارجحتُ الى خراسان .

ولما كان فى اليوم الخامس رحل أحمد بن بويه الى الاهواز وخلف بعسكر مكرم ثلاثة من القواد فأقام أبو عبد الله معه خمسة وثلاثين يوماً ثم هرب منه فى الماء الى الباسيان وأقام بها وكاتبه بعتب كثير وتصرف (٥٧٢) فى ضروب من القول اقامة لحجة نفسه فيما استعمله ولم يكره المقام عنده لضيق المال فانه كان سلم الى أبى على العارض ضمانات وخطوطاً فصح فى شهرين بخمسة آلاف ألف درهم وصح منها الى يوم هربه صدر كثير

ذكر السبب فى هرب البريدى

كان طولب باحضار عسكره من البصرة على أن ينفذهم الى اصبهان لمضامة الامير أبى على الحسن بن بويه على حرب وشمكير فوافى بأربعة آلاف رجل وقال للامير أبى الحسن أحمد بن بويه : ان أقاموا بالاهواز وقعت فتنة عظيمة بينهم وبين الديلم والرأى أن يخرجوا الى السوس مع محمد المعروف بالجمال حاجبي وأسبب بعالهم عليها وعلى جنديسابور حتى يقبضوا وينفذوا على طريق البنيان الى اصبهان . فأجابه الى ذلك ثم طالبه أن يحضر رجال الماء الى حصن مهدى حتى يشاهدهم فاذا عاينهم سيرهم فى الماء الى واسط وسار أحمد بن بويه بالديلم على طريق السوس اليها . فاستوحش

البريدى من ذلك استيحاشاً شديداً وظن أنه انما يريد أن يفرق بينه وبين عسكره وقال : هكذا عملت ياقوت فانى أخذت رجاله ثم أهلكته فلولم أتلم الا من نفسى لكفانى استبصاري والله المستعان (٥٧٣) . وكان الديلم أيضاً يستخفون به ويشتمونه اذا ركب ويزعجونه من فراشه وهو محموم وتلقى منهم ما لم تجر عادته بمثله . وكانت الكرامة متوفرة عليه من الامير أبى الحسين ومن أبي على العارض (١) فاما الباقون فكانوا يهينونه اهانة عظيمة.

ولما أراد الهرب قدم كتابه فى صبيحة الليلة التى خرج فيها وعرف أبا جعفر الجمال غلامه ما عزم عليه وأمره أن يسير الى الباسيان ومنها الى نهر تيرى ثم الى الباذاورد والبصرة وتم ذلك على ما نظمه وحصل جيشه بالبصرة موفورين . واتصلت المراسلات بينه وبين أحمد بن بويه فى الافراج عن قضية الاهواز حتى يردها ويقوم بما عقده للامير على بن بويه على نفسه من ضمان الاهواز والبصرة وهى ثمانية عشر ألف ألف درهم لسنة خراجية ولا شفاق الامير أحمد بن بويه من أنكار أخيه على بن بويه هرب البريدي استجاب الي حكمه . وانتقل الى عسكر مكرم وأقام بها فى ظاهر داراباز وكتب الى البريدي كتاباً انه قد أخلى الاهواز فانتقل البريدي من الباسيان الي بناتاذر وأنفذ الى سوق الاهواز من يخلفه بها . وكتب الى الامير ان نفسه لا تسكن الى ان تقيم فى بلد على ثمانية فراسخ منه لانه لا يأمن (٥٧٤) كبسه ليلا وسامه أن ينتقل الى السوس فتبعد الدار بينهما فترسل فى ذلك القاضى أبو القاسم التنوخى وأبو على العارض واستقرت الحال على أن يحمل البريدى ثلاثين ألف دينار اليه لينهضه فرد غلامى هذين الرسولين مع

(١) زاد صاحب التكملة : وكان يجلس بين يديه ويخاطبه بسيدنا .

غلام له بأربعة عشر ألف دينار وكتب بأنه يوفيه تتمة الثلاثين الالف الدينار بالسوس. فاجتمع دلان وكان كاتب جيش الامير أحمد بن بويه وأبو جعفر الصيمري وكان تابعاً لدلان وأبو الحسن المافروخي وكان يتولى عسكر مكرم للامير ويجزف ويأخذ المال من حيث لاح له فقالوا للامير أبي الحسين: قد سلك معك البريدي طريقه مع ياقوت وأخذ يبعدك الى السوس ويضايقك حتى يفل الرجال عنك ثم يأخذ المعابر الى نفسه وبين الاهواز وبين عسكر مكرم وتستر وبين السوس دجلة ويحتال في تحصيلك ان استوى له. فاشعر الامير أبو الحسين من ذلك وامتنع أن يخرج من عسكر مكرم وقال: هي على سمت الطريق الى فارس ولستُ أبعدُ عن الامير الكبير هذا البعد حتى يقطع بيني وبينه دجلة أولا ثم المسرقان. وعرف البريدي ذلك فمنع العارض والتنوخي من الرجوع (٥٧٥) واستحكمت الوحشة.

واتصل ذلك ببجكم فأنفذ قائدا من قوّاده يقال له بالبا في ألفي رجل من الاكراد والاعراب والحشر والاثبات والموالين الى السوس وجند يسابور للغلبة عليها وكاتبا يعرف بالفيّاضي. وأقام البريدي يناتاذر غالباً على أسافل الاهواز وتغلب المخلدية على تستر وبقي الامير أحمد بن بويه لا يملك من كور الاهواز الا عسكر مكرم قصبها دون ما سواها فان أبا محمد المهلبي (١) (وكان في هذا الوقت وكيل أبي زكريا السوسي) قطع المعابر وغلب على الحميدية والسكول وقتل عاملا كان هناك بيد الاعراب والرُّجالة الذين أثبتهم. فكانت الصورة فيما دهم أحمد بن بويه غليظة جدا واضطرب رجاله وفارقوه بأجمعهم وعملوا على الرجوع الى فارس فعاضده أسفهدوست وموسى

(١) هو الوزير وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٣ : ١٨٠

فياذة حتى تلافوهم وردوهم وضمنوا لهم أن يرضوهم بعد شهر. وكتب أحمد ابن بويه الى أخيه بالصورة فأنفذ قائداً من قواده كان ساربان جماله عظيم المحل من أهل البأس والنجدة ثقة عنده يعرف ببُلّ فى ثلاثمائة رجل من الديلم ومعه خمسمائة الف [درهم] ووافى معه كوردفير لان الامير أبا الحسين استدعاه لانه كان وزيره بكرمان (٥٧٦) فلما حصل عنده كوردفير استكتبه للوقت وخلع عليه. وأبو على العارض معتقل ببناتاذر فى يد البريدى وأتهمه بمطابقة البريدى على جميع ماعمله أولا وآخرا وكان الامير مبغضا له وانما ضمه اليه أخوه الامير على بن بويه لانه كان شاهده وزيرا لما كان الديلمى وكان كبيراً فى نفسه وكان بجكم مملوكا له فطلبه منه ما كان فأهداه اليه

وتقرر الرأى أن ينفذ بُلٌّ الى السوس فى خمسمائة رجل ومعه أبو جعفر الصيمرى عاملا عليها وينفذ موسى فياذة الى بناتاذر فى ثلثمائة رجل فهرب بالبا لما سمع خبر بُل وهرب البريدى الى البصرة. وسار موسى فياذة الى حصن مهدى فملكها وكانت من أعمال البصرة وصارت الاسافل وراءه ودخل الامير سوق الاهواز فنزل دار أبى عبد الله البريدى وانتظمت له الامور. وحصل البريدى بالبصرة واستقامت لهم واستقر بجكم بواسط. ينازع الملك ببغداد وجمع ابن رائق أطرافه وأقام بها (١)

ولما رأى الوزير أبو الفتح اضطراب الامور بالحضرة وما توذن به أحوالها أطمع ابنَ رائق في ان يحمل اليه الاموال من مصر والشام ويمدّهُ بها (٥٧٧) وعرّفهُ ان ذلك لا يتمّ له مع بعده عنها ووافقهُ على الشخوص

(١) زاد فيه صاحب التكلة : وهو الذى وضع المناصير (المأصر) ببغداد وما كانت سمعت بالضرائب من قبله. وأما المأصر فليراجع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته ص١٨٥

وعقد بينه وبينه صهراً بان زوّج ابنهُ أبا القاسم بابنة ابن رائق وعقد بين ابن رائق وابن طغج صهراً [1] وخرج مبادراً الى الشام على طريق الفرات .

وقلّد أبو بكر ابن رائق علىّ بن خلف بن طناب أعمال الخراج والضياع بكور الاهواز وواقفهُ على النفوذ الى عمله وان يبتدىء بابى الحسين بجكم ويلطف له حتى ينفذ معه لمحاربة الامير أبى الحسين أحمد بن بويه ودفعه عن الاهواز وان يوافقه على ان يكون عدّتهُ خمسة آلاف رجل على ان يكون ماله ومال رجاله ان أقام بواسط ولم ينفذ الى الاهواز ثمانمائة الف دينار في السنة يأخذها من مال واسط وان نفذ الى الاهواز وفتحها الف الف وثمانمائة الف دينار فى السنة يأخذها من مال الاهواز .

ولما وصل على بن خلف الى واسط ولقى بجكم رأى بجكم ان يستكتبه ورأى على بن خلف ان يكتب له فخلع عليه وأقام عنده بواسط وأخذ جميع مالها

وسفر أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد فى الصلح بين ابن رائق وبنى البريدى فتمّ ذلك وأخذ ابن رائق خطّ الراضى بالله للبريديين بالرضا عنهم (٥٧٨) وقطعت لهم الخلعة على ان يقيموا الدعوة لابن رائق بالبصرة ويجتهدوا فى فتح الاهواز وضمنوا حمل ثلاثين الف دينار وأطلقت ضياعهم وكتب عن الراضى فى هذا المعنى كتابٌ . وورد الخبر بمسير جيش البريدى الى واسط فخرج اليه بجكم وأوقع بناحية الدرمكان به وهزمه فجلس ابن رائق ببغداد في داره للتهنئة بذلك وأقام بجكم بموضعه مدّة ثم بالمدار مدّة ثم عاد

(١) وفي تاريخ الاسلام ان زوج مزاحم بن محمد بن رائق بنت محمد بن طغج وأما خروج أبي الفضل الى مصر فليراجع كتاب الولاة لابى عمر الكندى ص ٢٨٧

الى واسط . وكانت نيّة بجكم إذلال البريديين وقطعهم عن ابن رائق ونفسه متعلقة بالحضرة [١] فانفذ ثانى يوم الهزيمة على بن يعقوب كاتب الترجمان المتولى كان للعرض عليه الى البريدى يعتذر اليه مما جرى ويقول : أنتَ بدأتَ بمراسلة ابن رائق وتعرّضتَ لى وهذه كرّتك الثانية فانك حملتَ الديلم الى الاهواز واعقبتَ ذلك بمراسلة ابن رائق وبذلتَ له مضافرته علىّ وقد عفوتُ وأنا أعاقدك وأعاهدك على ان أقلدك واسطاً اذا ملكتُ الحضرة . وجرى فى أثناء ذلك قول فى المصاهرة قال على بن يعقوب : فرأيتُ أباعبد الله البريدى وقد سجد شكراً لله تعالى لبجكم على ما ابتدأه به ثم استجاب لكل ما أرادهُ منه ولما سمتهُ اياه [٥٧٩] واحضر القاضيين أبا القاسم التنوخى وأبا القاسم ابن عبد الواحد وحلف بحضرتهما واشهد على نفسه فى خطّ كتبه بالوفاء بجميع ما عقدته معه وبرّنى بثلاثة آلاف دينار وقال لى «سأحمل اليه والاطفهُ حتى يعلم انى أصلح لخدمته» وعدتُ الى بجكم وخبرته بما جرى فقال لى : يا أبا القاسم كلُوتتهُ [٢] على رأسه ؟ فقلتُ : أيها الامير ما معنى هذا وكيف سألتنى عنها ؟ فقال لى . إنى كنت رأيتها فمرّ فى . قلتُ : نعم قد رأيتها . فقال : يا أبا القاسم هى على رأس شيطان لا على رأس بشر . فقلت : أيها الامير أنتَ ما رأيتهُ فكيف قلتَ هذا ؟ قال : بلى رأيتهُ يوم وقعتنا بارّجان وقد تعمّم على كلُوتته وعزمت على ان افوّت اليه سهماً فقطن

(١) قال صاحب التكملة : فجزع بجكم لهذا الصلح (يعنى بين ابن رائق وبين البريدى) وأشار عليه يحيى بن سعيد السوسى بحرب البريدى . فانفذ اليه البريدى أبا جعفر الجمال فالتقيا بشابرزان فانهزم الجمال . وانفذ يعاتب البريدى ويقول له الخ

(٢) وهو نوع من الآزرة

لما أردته وانما لمح طرفي من بعيد فنزع تلك العمامة والكلوتة وجعلها على رأس غيره وتنحى هو وأقامهُ مقامهُ فقلتُ « ذلك المسكين بلا ذنب » وافات هو لعنهُ الله فانه كاذبٌ في جميع ما قاله وحلف عليه ولكن نقبل ذلك منه لحاجتنا الى قبوله. وانصرف بجكم الى واسط وأخذ في التدبير على ابن رائق

﴿ وفي هذه السنة قطعت يد أبي علي ابن مقلة ثم لسانهُ ﴾

﴿ ذكر السبب في ذلك (٥٨٠) ﴾

كان ابن رائق لما صار اليه تدبير المملكة قبض ضياع أبي علي ابن مقلة وابنهِ . فلما صار الى الحضرة التقيه أبو علي ابن مقلة ولقي أبا عبد الله الحسين ابن علي النوبختي (١) ثم بعده أبا عبد الله الكوفي وأبا بكر ابن مقاتل فاستجيوا منه وتذلّل للجماعة وسأل ردّ الضيعة المقبوضة عليه فوُعد بذلك ومطل مطلا متصلا . فلما رأى أبو علي المطل متصلا والوفاء لا يصحُّ أخذ في السعي على ابن رائق من كل جهةٍ فكتب الى بجكم يطمعهُ في الحضرة وفي موضع ابن رائق وكتب بمثل ذلك الى وشمكير بالريّ . وكتب الى الراضي بالله يشير عليه بالقبض على ابن رائق وأسبابه ويضمن انه متى فعل ذلك استخرج له ثلاثة آلاف الف دينار ويصحّحها وأشار باستدعاء بجكم ونصبه مكان ابن رائق فانه أكثر طاعةً وكانت مكاتبته للراضي على يد علي بن هرون ابن المنجم النديم (٢) . فاطمعه الراضي في ذلك فكتب ابن مقلة الى بجكم يعرفه ان الراضي قد استجاب الى أمره وان الامر تامٌّ ويستحثهُ على التعجل . فلما توثّق ابن مقلة عند نفسه من الراضي وافقه على ان ينحدر اليه سرًّا ويقيم

(١) قال صاحب الدكلة انه توفي في سنة ٣٢٦ بعلة السل

(٢) وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٥ : ٤٤٠

عنده الى ان يتم التدبير على ابن رائق . فركب من داره فى سوق العطش فى (٥٨١) سميرية وعليه طيلسان وخف وصار الى الازج بباب البستان وركب السميرية ليلة الاثنين لليلة تبقى من شهر رمضان وانما تعمد تلك الليلة لان القمر تحت الشعاع وهو يختار للامور المستورة . فلما وصل الى دار السلطان لم يوصله الراضى اليه واعتقله فى حجرة ووجه من غد بابن شنجلا الى ابن رائق واخبره بما جرى وانه احتال على ابن مقلة حتى حصله عنده وما زال المراسلات تتردد بين الراضى وبين أبى بكر ابن رائق . فلما كان يوم الخميس لاربع عشرة خلت من شوال أظهر الراضى بالله أمر ابن مقلة وأخرجه وحضر فاتك حاجب ابن رائق وجماعة من القواد فقطعت يده اليمنى ورد الى محبسه وانصرف فاتك الى ابن رائق فاخبره بما شاهد من قطع يد ابن مقلة

قال ثابت : فلما كان فى آخر هذا اليوم استدعانى الراضى وأمرنى بالدخول اليه وعلاجه فصرت اليه فوجدته فى حجرة مقفلة عليه ففتح الخادم الباب فدخلت فرأيته بحال صعبة فدمعت عينه حين رآنى ووجدت ساعده قد ورم ورما عظيما وعلى موضع القطع خرقة غليظة كردوانى كحيلة مشدودة بخيط قنب فحللت (٥٨٢) الشد ونحيت الخرقة فوجدت تحتها على موضع القطع سرجين الدواب فنفضته عنه واذا رأس الساعد أسفل القطع مشدود بخيط قنب قد غاص فى ذراعه لشدة الورم وابتدأ ساعده يسود . فعرفته ان سبيل الخيط ان يحل ويجعل موضع السرجين كافور ويطلى ذراعه بالصندل وماء الورد والكافور قال : فافعل . فقال الخادم الذى دخل معى : حتى استأذن مولانا . ومضى يستأذن ثم خرج ومعه مخزنة كافور وقال لى : قد أذن مولانا ان

تعمل ما ترى وان ترفق به وتقدّم العناية به وتلزمه الى ان يهب الله عافيته. فخلتُ الخيط وفرّغت المخزنة فى موضع القطع وطليتُ ساعدَهُ فماش واستراح وسكن الضربان ولم أفارقه حتى اغتدى بشيء يسير من فروّج ثم حلف انه ليس يسوغ له شيء آخر وشرب ماءً بارداً فرجعت اليه نفسه وانصرفتُ . ثم تردّدتُ اليه أياماً كثيرة الى ان عوفى وكنتُ اذا دخلتُ اليه يسئلنى عن خبر ابنه أبى الحسين فاعرّفه استتاره وسلامته فتطيب نفسه ثم ينوح ويبكي على يده ويقول : قد خدمتُ بها الخلافة ثلاث دفعات لثلاثة من الخلفاء وكتبتُ بها القرآن (٥٨٣) دفعتين تقطع كما تقطع أيدى اللصوص ! أتذكرُ وأنت تقول لى « أنت فى اخر نكبة وان الفرج قريب » فقلت : بلى والآن ينبغى ان تتوقع الفرج فانه قد عمل بك مالم يعمل بنظيرك وهذا انتهاء المكروه وما بعد الانتهاء الا الانحطاط . فقال: لا تفعل فان المحنة قد تشبّثت بى كما تشبّثت حُمّى الدِق بالاعضاء فلا تفارقنى حتى تؤدّينى الى الموت : ثم تمثّل بهذا البيت :

اذا ما مات بعضك فابكِ بعضاً * فبعض الشيء من بعض قريب

فكان الامر على ماقال . (١)

(١) وروي غير هذا الحافظ الذهبي فى ترجمة ابن مقلة في تاريخ الاسلام قال : وعن الحسن بن على بن مقلة قال : كان أمر أخيه قد استقام مع الراضى وابن رائق وأمرا يرد ضياعه وكان الكوفى يكتب لابن رائق وكان خادم لابى على قديما وكان ابن مقاتل مستوليا على أمر ابن رائق وأبو على يراه بصورته الاولى . وكانا يكرهان أن يردّ ضياع أبى على ويداخانه وكان الكوفي يريد من أبي على ان يخضع له وأبو على يتحامق فكنا نشير عليه بالمداراة وهو يقول : والله لاقامات ومن هذا الكلب أوضعنى الزمان هكذا يمرّه . فاتفق انهما اتياه يوما فما قام لهما ولا احترمهما وشرع يخاطبهما بادلال زائد ثم أخذ يهود ويتوعد كانه فى وزارته . فكان ذلك سبباً في قطع يده وسجنه

ومن عجائبه انه كان يُراسل الراضى من الحبس بعد قطع يده ويطعمه فى المال ويشير بأن يستوزره ويقول ان قطع يده ليس مما يمنع من استيزاره

وقال محمد بن جنى صاحب أبي على قال : كنت معه في الليلة التى عزم فيها على الاجتماع بالراضي بالله وعنده انه يريد ان يستوزره (قال) فلبس ثيابه وجاؤه بعمامة وقد كان اختاروا له طالعاً ليمضي فيه الى الدار فلما تعمم استطولها خوفا من فوات وقت اختيار المنجمين له فقطعها بيده وغرزها فتطيرت من ذلك عليه . ثم انحدرنا الى ذكي الحاجب ليلا فصعدت اليه واستأذنت له فقال : قل له « أنت تعلم اني صنيعتك وانك استحجبتني لمولاى ومن حقوقك ان أنصحك قل له انصرف ولا تدخل » فصدت فاخبرته فاضطرب وقال لابن غيث النصرانى وكان معه في السميرية : ماترى ؟ فقال له : ياسيدي ذكي عاقل وهو لك صنيعة وما قال هذا الاّ وقد أحس بشئ فارجع . فسكت ثم قال : هذا محال وهذه عصبية منه لابن رائق وهذه رقاع الخليفة عندى بخطه يحلف لى فيها بالايمان الغليظة كيف يخفرني؟ ارجع فقل له « يستأذن » فرجعت فاعلمته فحرك رأسه وقال : ويحك يتهمني قل له « والله لاستأذنت لك أبدا ولا كان هذا الامر بمعاونتى عليك » فجئت فحدثته فقام في نفسه ان هذا عصبية من ذكي لابن رائق فقال : لو عدلنا الى باب المطبخ . فعدلنا اليه فقال : اصعد فاستدع لى فلانا الخادم . فاتيته فصعدا مسرعا يستأذن له فجئته فاخبرته فقال: ارجع وقف في موضعك لئلا يخرج فلا يجدك . فرجعت فخرج الى وجاه معي الى السميرية وسلم عليه ولم يقبل يده فقال : قم يا سيدى . فانكر ذلك ابن مقلة وقال لى سرًّا : ويحك ما هذا ؟ قلت: ماقال لك ذكي . قال : فما نعمل ؟ قلت : فات الرأى . فاخذ يقرّر الدعاء والاستخارة وقال : ان طلعت الشمس ولم يروا لي خبرا فانجوا بأنفسكم . (قال) فمضى وغلق الخادم الباب علينا استرابة به ووقفنا الى ان كادت الشمس ان تطلع فقلنا : فى أى شئ وقوفنا ؟ والله لاخرج الرجل أبداً . فانصرفنا وكان آخر العهد به . فلما بلغنا منازلنا قيل « قد قبض على ابن مقلة فقطعت يده من يومه بحضرة الملا من الناس .

وقال ابراهيم بن الحسن الديناري : سمعت الحسين بن الوزير ابن مقلة يحدّث ان الراضي بالله قطع لسان أبيه قبل موته فقتله بالجوع قال : وكان سبب ذلك ان الراضي تقدّم على قطع يده واستدعاه من حبسه واعتذر اليه وكان بعد ذلك يشاوره في الامر

لانه يمكنه ان يحتال ويكتب . وكانت تخرج له رقاع بعد قطع يده وقبل التضييق عليه فيقال انه كان يشدّ القلم على ساعده الايمن ويكتب به .

بعد الامر ويعمل برأيه ويخلو به ورفيه في محبسه ونادمه سرًّا على النبيذ وأنس به ونبل في نفسه وزاد ندمه على قطع يده . فبلغ ابن رائق فقامت قيامته فدسّ الى الخليفة من أشار عليه بان لا يدنيه وقال له : ان الخلفاء كانت اذا غضبت لم ترض وهذا قد أوحشته فلا تأمنه على نفسك . فقال : هذا محال هو قد بطل عن أن يصلح لشيء وانما تريدون أن تحرموني الانس به . فقيل له : ليس الامر كما يقع لك وهو لوطمع في انك تستوزره لكلمك فان شئت فاطمعه في الامر حتى ترى . وقد كان أبي يتعاطى أن يكتب باليسرى فجاء خطه أحسن من كل خط لا يكاد أن يفرق بينه وبين خطه باليمين وجاءتني رقاعه مرات من الحبس باليسرى فما أنكرته . (قال) وتوصل ابن رائق الى قوم من الخدم بأن يقولوا لابن مقلة : أن الخليفة قد صح رأيه على استيزارك بهذا تستحق البشارة عليك . فلم يشك في الامر وقالوا هم للراضي : جربه وخاطبه بالوزارة لترى ما يجيبك به . فخاطبه بذلك فاراه أبي نفوراً شديداً من هذا وقصوراً عنه فأخذ الراضي يحلف له على صحة ما في نفسه من تقليده لو علم أن فيه بقية لذلك وقياما به فقال : يا أمير المؤمنين لايراد منه الا لسانه ورأيه وهما باقيان وأما الكتابة فلو كنت باطلا منها لما ضرني ذلك وكان كاتبٌ ينوب عني ولست أخلو من القدرة على تعليم العلامات باليسرى ولو أنها ذهبت اليسرى أيضاً حتى احتاج أن أشدّ قلماً على اليمنى لكنت أحسن خطاً . فلما سمع ذلك تعجب واستدعي دواة فكتب باليسرى خطه لا يشك انه خطه القديم ثم شدّ على يمينه فكتب به في غاية الحسن . فقامت قيامة الراضي واشتدّ خوفه منه فلما قام الى محبسه أمر ان تنزع ثيابه عنه وان يقطع لسانه ويلبس جبة صوف ولا يترك معه في الحبس الا دورق يشرب منه ووكل به خادماً صيلياً عجمياً فكان لايفهم عنه ولا يخدمه ثم فرق بينه وبين الخادم وبقي وحده . فكان الخدم يقولون لي بعد ذلك انهم كانوا يرونه من شقوق الباب يستسقي بفيه ويده الصحيح من البرّ للوضوء والشرب ثم أمر الراضي ان يقطع عنه الخبز فقطع عنه أياما ومات وكان مولده في ٢٧٢ .

وقال أبو بكر الصولي في الاوراق في حبس الراضي ابن مقلة ان في نفسه عليه أمر ابن المتنصر وانه الذي يرضيه للخلافة . وقد تقدّم قصته في كتاب الاوراق وهي ان في شهر ربيع الاول من السنة ركب الراضي الى أجمة بالثريا يطلب فيها خنازير وركبنا معه

ولما قرُب بجكم من بغداد نقل من ذلك الموضع الى موضع أغمض منه فلم يُوقف له على خبر ومنعت من الدخول اليه

ثم قطع لسانه وبقي مدة طويلة في الحبس ثم لحقه (٥٨٤) ذرب ولم يكن

فرأينا في الموكب فرساناً لا يعرفهم فطاف ساعة ثم عدنا معه فتغدّى وكان النهار قصيراً فصلينا الظهر وركب . فرأينا الفرسان قد زادوا وانكرهم الحاجب ووافي محمد بن بدر الشرابي في مائة فارس فلما رآه الفرسان تفرقوا فلم يرمنهم أحداً فصاد خنزيرين وانصرفنا.

فقال لنا بعد : من أي شيء أفلتنا يوم الخنازير . وأنا بين يديه في الحجرة التي كان يجلس فيها ونحو أربعة وكذا كانت فوقنا اذا دخل رجل مشدود العينين بدراعة وخفّ فلما أقيم بين يديه قال : ما لنا نحن قرامطة . فقال له الراضي : يا ابن الفاعلة لو كنت محتاجا لعذرتك ولكن من رشحك لهذا قد أغناك وجعل اليك نقابة وموّلك فك الكلب النابح . فضربوا فكه وهو يقول : بتربة المقتدر ارحمني . واذا هو أبو عبد الله بن المتصر والمتصر جدّه . ثم قال له الراضي : والله ما طلبت هذا الامر فاما اذا دفعت اليه فوالله لاطلبه أحدٌ في أيامي ساعياً عليّ فعاش . ثم أمر به فنحي وأدخل بيتاً حيال بركة السباع فرقنا من الغد أنه قتل في ليلته وأخذ جماعة بسببه فحبسوا منهم المعروف بالزهري وابن أبي الحناء وغيرهم

ثم حدثنا الراضي بعد ذلك قال : كان الفرسان التي رأيتموهم بالثريا قد عزموا على الفتك بنا فلما جاء ابن بدر يئسوا فمضوا . . . ثم قرأ علينا رقعة جاءته من أبي علي ابن مقلة : العجب من انهام الناس اياي بسبب هذا الامر . واقرأنا جوابه اليه بصدقه في قوله وبانه ما سمع ما ذكره ولا وقف عليه الا من رقعته ويمكن منه

وأمر بطلب أولئك الفرسان فظفر ببعضهم فأمنهم ووصلهم وفرّق بينهم وسمع كلام كل واحد منهم مفرداً فحدثنا انهم عرفوه كيف جرى الامر من أوله الى آخره حتى وقف على صحته . وجعل الراضي يوري عن ذكر الفاعل لهذا اذا حضرت جماعتنا ويصرّح به اذا حضر من يثق به منا .

واتصل هذا الخبر بابن رائق فقدم بآخر شهر ربيع الاول وتلقاه أبنا الراضي وأظهر انه قلق لما جرى وخاف أن يسعى في مثله لبعده عن مولاه . وانما جاء لضيق المال واستحقاق الجند وان بجكم أقبل الى واسط فلم يحب الاجتماع معه ولم يزل يطالب الوزير

له من يعالجه ولا من يخدمه حتى بلغني أنه كان يستسقي الماء لنفسه من البئر بيده اليسرى وفمه ولحقه شقاء شديد الى أن مات ودُفن في دار السلطان ثم

بالمال وهو يجمعه له. وأخذت في هذا الوقت من الراضي آنية ذهب وفضة فضربت وأنفذ ابن رائق الى بجكم من المال ما قدر عليه.

وقال الصولي أيضاً : وكان انحراف الراضي عن ابن رائق في هذا الوقت يتبين في طرفه وقوالب لفظه . ثم صرّح بذلك لي وللمروضي من بين الناس

وأما قصة ابن مقلة فقال صاحب كتاب العيون : كان في بجكم فضل ودهاء ورجلة وكان قد نصب لنفسه امرأة تدخل الى الخليفة فتستأذنه في الاشياء التي يعملها وكانت امرأة محمد بن ياقوت الترجمان فكان كلما ورد على بجكم كتب ابن مقلة عن الخليفة يأمره بالمسير الى الحضرة كتب الى الامرأة يقول لها : استأذني مولاي في هذا الامر فان كان عن رأيه سرت الى بغداد ولم أتوقف . فكانت الامرأة اذا سألت الخليفة قال لها : ليس لها أصلٌ ولا كاتبته في هذا المعنى شيءٌ ولا أرضاه والذي أحبه ان يتألف قلبه وقلب ابن رائق .

فلما نظر ابن مقلة انه ما يمشي له مع بجكم ما يريده ولا ينجح الى قوله جنح الى ذكا مولى الراضي وسأله أن يكون السفير فيما بينه وبين الراضي فيما يعرض من حوائجه وإيصال رقاعه فأجابه الى ما سأل . فابتدأ يكاتب الراضي برقاع ولا يطلع ذكا على ما فيها فاذا أوصلها قرأها الراضي ولا يجيب عنها بمكاتبة ولا بمراسلة فيعرف ذكا أبا علي ابن مقلة ان كتبه تصل ولا يخرج عنها جواب فيسر ابن مقلة بهذه الحال ويقول : أنا أعرف الناس بطبع مولاي اذا واقفه شيء كتمه ولا يظهره :

فلما كان شهر رمضان كتب ابن مقلة الي الراضي رقعة يقول فيها (ان بجكم قد طمع في ابن رائق وانه ان لم يؤذن له في الدخول دخل بلا اذن ولو أنعم مولانا له بالدخول كان أحرى وأولى) فخرد الراضي لما قرأ رقعته وقال : يافوم ابن مقلة يحملني على السعي في سفك الدماء في شهر رمضان . فوجه ذكا كاتبه الى ابن مقلة يعرفه ما جرى فمضى وعاد اليه برسالة يسأله الاستيذان له في الوصول الى الراضي ليشافهه في أمر بجكم وقال له الكاتب : يقول ابن مقلة (ان أوصلتني الى الخليفة فقد قضيت كل حق بيني وبينك) فقام ذكا ودخل الى الراضي واستأذنه في وصول ابن مقلة اليه فأذن له بمجيئه أي وقت أحب فوجه اليه ذكا يعرفه ذلك ويقول له : أنت قد خدمت مولاي وعرفت

سأل بعد مدة أهله فتبش وسلم اليهم .

وفي هذه السنة دخل بجكم العراق أعني بغداد ولقي الخليفة وقلده أمرة الامراء مكان محمد ابن رائق

أخلاقه فان كنت الرجل الذي تأمنه على نفسك وتعلم أن خدمتك يرضيها ولا تخوف في نفسك ما قد تحفظه عليك فأعزم على الوقت الذي يحتاج فيه الوصول اليه والذي أراه لك ان تصل الى باب النوبي من جهة بشرى الاسود الخادم اذ كنت أعلم فتنك به وسكونك الى ناحيته لانه كان غلامك وذلك من باب النوبي إخفاء لان باب الخاصة وهو الباب الذي أنا فيه ما تفارقه الحجاب وسائر الناس ولست آمن ان يقف أحد منهم على خبرك فيقف عليه محمد بن رائق وأنت تعلم ما في هذا . فمضى الكاتب اليه بالرسالة فقال له ابن مقلة : عد اليه وقل له : لا تكلني الى أحد غيرك فما أحبّ ان يقف على أمري سواك واذا سهل الله وأوصلتني الى مولاي فقد بلغتني كلما أحبه . وكان يقول بالنجوم فقال له ذكا : تختار الوقت الذي تحب فيه الوصول . فقال : الله الله اجتهدلي في الوصول الى مولانا في هذه الليلة فليس لاحد الى ثلاثين سنة وقتاً اسعد من هذه الليلة . فاستأذن له ثانية فأذن له في تلك الليلة قال ذكا : كل ذلك ولا أعلم ما في نفس مولاي له لانه كان رجلا لايفشي سرّه الى أحد بعيد الغور ولو كنت أعلم ما في نفسه ما أحببت ان يجري عليه مكروه لي فيه سبب فوجهت اليه : ان أحببت الانحدار فافعل واجتهد ان لايقف أحد على خبرك . فانحدر من داره بعد عتمة حتى وصل الينا فوجهت وعرّفت مولاي بوصوله فأمر بفتح الباب المعروف بباب الشاذروان فتقدّمت بفتحه ففتحه الخدم الذين على الحرم من داخل . وخرج فائق خليفة راغب على الحرم فتسلمه من صاحبي ولم أزل جالساً في دار الحجبة والباب مفتوح انتظر خروج ابن مقلة الى ان مضى من الليل نصفه وكاتبي جالس عندي وابن غيث كاتبه عندي فاستراحوا بجلوسه وأنكروه وأنكرته انا فلما طال الامر وجهت الى مولاي أقول له : الباب مفتوح الى هذه الغاية فان كان ينصرف والاّ مرني باغلاقه . فوجه اليّ ان أغلق الباب فاغلقته ووزد عليّ من هذا ما أشغل قلبي وانصرف كاتبي وكاتبه على أقبح صورة غير اني طيبت نفس كاتبه وقلت : لعل الخطاب طال ولم يتقرّر بينهما حال وفي غد يتقرّر الامر ويأذن له بالانصراف . وبتنا تلك الليلة وأصبحت من غدها وقد وجه فاحضر ابن سنكلا كاتبه ووصل اليه ابن النوبي وكان خصيصاً له شديد الانس به يصل اليه في كل وقت بلا حاجب

﴿ ذكر الخبر عن ذلك ﴾

ابتدأ بجكم بالمسير من واسط الى الحضرة مُراغماً لابن رائق فازال اسمه ومحى أعلامه وتراسه وترك الانتساب اليه وذلك انه كان يكتب عليها « بجكم الرائقي » وأخذ ابن رائق يستعدّ لقتاله وقتاله وعمل على أن يتحصن في دار السلطان ثم رأى ان يبرز الى ديالى وفتح من النهروان اليه بثقاً ليكثر

ضرَّفه حال ابن مقلة وحصوله في الدار قبله وقال له : اخرج الى الحاجب فقل له : يمضي الى محمد بن رائق ويعرفه خبره عني ويقول له « قد كنت أحذرك من عدوّك مرة بعد اخرى وافرئك رقاعه اليَّ في أمرك وأقول لك لاتغفل عنه واطلبه أشدَّ طلب وأشققت ان يتمَّ عليك تدبيره وحيلته فالزمت الحاجب الاحتيال عليه حتى حصل وهو الآن قبلي وقد سكنت نفسي عليك بسلامتك مما كنت أتخوفه عليك من جهته » قال ذكا الخادم : كان ابن مقلة كثير التخليط شديد الاقدام على الامور الكبار فخرج ابن سنكلا وادَّى الرسالة .

فمضيت الى ابن رائق وابن سنكلا معي فوصلت اليه وهو جالس وابن مقاتل فلما استقرَّ في المجلس قلت : أريد ان تخلي مجلسك فان بيني وبينك خطابا لا يجوز ان يقف عليه أحد . فقام الناس كلهم وأراد ان يقوم ابن مقاتل فقلت له : أنت الثقة والصاحب اجلس . فجلس فاعدت عليه ماقال مولاي فشكر وسرَّ بذلك وفرح ودعى لمولاي وقال: من أولى بالفضل على عبده منه . ثم قال لي : قد عرفت خبر انحداره في الوقت الاَّ أني لم أعلم أين مقصده وقدرت أنه يعبر الى ابن مقاتل ليتوسط حاله معي . فقلت : من أين لك خبره ؟ فقال : اني كنت قد جعلت عليه رصداً يتحصى عليه اخباره فكتب اليَّ يذكر انه خرج من داره بعد عتمة وركب بغلة أبي القاسم الشهبا ونزل الى المشرعة ولا أدري أين قصد . ثم قال لي : قل لمولاك : مولانا اعدل شاهد على هذا الرجل وعلى أفعاله القبيحة وما أراد من الحيلة عليَّ وهو أولى وما يفعله في أمره . فانصرفت . ووقع في قلب ابن رائق مثل النار وخاف ان يكون مقامه في الدار يتم الحيلة عليه

قال ذكا : وقلق ابن رائق والتمس قتل ابن مقلة اذ كان لايثق ولا يأمن شرَّه فقال له مولاي : ما كنت بالذي استحل سفك دم . قال : ان غلب أمره على مولانا فليستفتي فيه الفقهاء والقضاة في ذلك فان كان مستحقاً لما قلته أو بعضه امضي فيه حكم الله . واحضر أبو الحسين القاضي واستفتي في أمره وذكر له ما صنع ابن مقلة وقتاً بعد

ماؤه فلا يخيض وقطع الجسر عليه ليصير خندقاً . وطالب ابن رائق الراضي أن يكتب الى بجكم كتاباً يأمره فيه بالرجوع الى واسط فكتب وسلم الى ابن رائق فأنفذه مع ابن سرخاب اليه أحد خلفاء الحجاب فقرأه ولم يلتفت اليه وسار الى بغداد . ووافى بجكم وجيشه الى نهر ديالى وعبر بعض أصحابه سباحة فانهزم ابن رائق وصار الى عكبرا وتقطع أصحابه واستتر أبو عبد الله احمد بن على الكوفى وأبو بكر بن مقاتل (٥٨٥) ودخل بجكم يوم الاثنين لاثنى

وقت (ولم يذكر اسمه للقاضي) وقيل له : ما تقول فيمن فعل الافاعيل ؟ فاتاهم بقول الله عز وجل : انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فساداً ان يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض) فتقرّر الامر على قطع يد ابن مقلة بعد مجالس كثيرة جرت بينهم

قال ذكاه : وواطيٌ محمد بن رائق الجيش لما امتنع مولاى من قتل ابن مقلة على الشغب وكان الجيش يمضون الى سائر أبواب ويتكلمون بكل كلام ويقولون « يسلم الينا ابن مقلة المدبر على أمرنا » وكل ذلك يبلغ مولاى . فلما طالت القصة وأجابه مولاى الى قطع يد ابن مقلة تقدّم مولاى الى ابن رائق ان يحضر جميع قوّاده الى الدار فى غد ذلك اليوم ليحضروا قطع يده وتقدّم الىّ ان أحضر ابن بدر الشرابى صاحب الشرطة ومعه من يقطع ففعلت ذلك وحضر الناس في غد ذلك اليوم وأوصلتهم الى دار السلام وهى المعروفة بدار الاشفاق على الشط واخرج ابن مقلة من محبسه وعليه ثيابه التي كان دخل بها الى الدار وهى دراعة وعمامة وخف فلما بصر بي قال : يا أبا الفهم أى شئ يراد بى . فاستحييت منه وقلت له : خيراً ان شاء الله تعالى . فقال لى : هذا القول منك وأنت الحاجب وأمان من الخليفة ! ثم قال : أن رأيت ان تستأمر وتراجع في حقي فافعل . ففعلت فخرج الامر الىّ ان أمتثل فى أمر الرجل ما أمرت به . وكان قائدٌ غلام ابن رائق حاضراً فالتفت اليه ابن مقلة فقال له : بوجه الي أبي بكر وتعرفه ان بيني وبينه ايمانا ومواثيق ان يذكرها لم ينقضها . ولم يك لقائدك من الامر شئ . فأدخل الى بيت البوّابين وحضر ابن بدر الشرابي ودخل مع القاطع ومعه جماعة من أعمال الشرطة فقطعت يده وردّ الى داخل الى محبسه وأدخل من يعالجه .

عشرة ليلة خلت من ذى القعدة ووصل الى الراضى بالله فاكرمه ورفع منه وخلع عليه وسار بالخلع الى مضربه بديالى فاقام فيه يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء . وأنفذ سريّة فى طلب ابن رائق وكاتب الجيش الذى معه عن الراضى بالتخلية عنه والوصول الى حضرة السلطان فانفضّ الجيش عنه ورجع ابن رائق الى بغداد سراً واستتر بها . فلما كان يوم الخميس للنصف من ذى القعدة خلع الراضى على بجكم خلعة ثانية وانصرف الى دار مونس بسوق الثلاثاء وهي التى كان ينزلها ابن رائق . فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من ذى القعدة خلع الراضى على بجكم خلعة ثالثة وعقد له لواء وجعله أمير الامراء فكان مدة امارة ابن رائق سنة واحدة وعشرة أشهر وكسر .

ولما كان يوم الجمعة لسبع بقين من ذى القعدة أنفذ الراضى الى بجكم خلع منادمة وكناه وأنفذ اليه مع الخلع شراباً وطيباً وتحيات وتمت له الرئاسة

تمت المجلدة الخامسة من كتاب تجارب الامم وتتلوها
فى المجلدة السادسة حكاية عن بجكم تدل على
دهاء ونكر والحمد لله وصلى الله
على محمد النبي وآله الطيبين
الطاهرين أجمعين

فرغ من انتساخه محمد بن على أبو طاهر البلخى فى المحرم سنة ٦٠٥

﴿ من كتاب تجارب الامم [٢] ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الحمد لله العدل ﴾

﴿ حكاية عن بجكم تدل على دهاء ونكر ﴾

حكى أبو زكريا يحيى بن سعيد السوسى قال : لما ترسلت بين بجكم وبين ابن رائق أشرت على بجكم بان لا يكاشف ابن رائق . فسألنى عن السبب الذى من أجله أشرت عليه بذلك فقلت : لان بغداد فى يده والخليفة معه والرياسة ولان الجيش معه كثير والاعمال والاموال فى يده والمال فى يدك قليل وعدّة من معك يسير . فقال لى : اما كثرة رجاله فهم جوز فارغ قد خرقهم وسرقهم وما أبالى كثروا أم قلوا وكون الخليفة معه لا يضرّنى عند أصحابى فاما ما توهمته من قلة المال معى فليس الامر فيه كما ظننته وقد وفيت أصحابى استحقاقاتهم وما لاحد علىّ منهم مطالبة وفى صناديقى معى مال يستظهر به فكم تظنّ مبلغه ؟ قلت : لا أدرى . فقال :

على كلّ حال . فقلت : مائة الف درهم . [1] فقال . غفر الله لك معي خمسون الف دينار لاحتاج اليها . (قال) فقلت له : أنتَ أعلم وما تختار . (قال) فلما هرب ابن رائق وملك بجكم قال لي يوما : أتذكر وقد قلت لك ان المال معي كثير وظننتَ أنه [2] مائة الف درهم فعرّفتك انه خمسون الف دينار ؟ فقلت : نعم . قال : افتدري كم كان بالحقيقة معي ؟ قلت : لا . قال : خمسين الف درهم . قلت : هذا يدلّ عليّ انك لم تثق بي ولم تصدقني . قال : لا ولكنك صاحبي ورسولي فكرهت ان تعلم صحته في القلة فيضعف قلبك واذا ضعف قلبك ضعف كلامك فيطمع ذلك في خصمي وأردت ان تمضي اليه بقلب قويّ فتخاطبه بما ينخب قلبه ويضعف نفسه .

وفي هذه السنة تغلّب اللشكرى بن مردى على آذربيجان . وهذا غير اللشكري الذى تقدّم خبره وكان أوجه من ذاك وأكبر مرتبة وكان من أصحاب وشمكير وخليفته على أعمال الجبل . فجمع مالا كثيراً ورجالا وخلف صاحبه وسار الى آذربيجان ليستولي عليها . وكان بها يومئذ ديسم بن ابراهيم فجمع ديسم عسكراً كثيراً من الاكراد وأصناف أخر واحرز سواده في بعض الجهات واقبل الى اللشكرى فواقعه دفعتين في مدّة شهرين وانهزم ديسم فيهما جميعاً . واستولى اللشكرى على بلاده الا اردبيل فان أهلها أجلاد ولهم بأس شديد وهم حملة سلاح ومدينتهم محصنة بسور وهي قصبة آذربيجان ودار المملكة . فراسلهم [4] اللشكرى ورفق بهم ووعدهم الاحسان فابوا عليه لما كان عندهم من أخبار الجيل ومعاملتهم أهل همذان وغيرها بانواع الالم فحاصرهم اللشكرى وطالت الحرب بينه وبينهم الى ان

(١) الاصل ناقص وكذا في الكامل لابن الاثير

تمكن طائفة من أصحابه يوما من السور فصعدوه وهجموا أيضاً عدة نقوب فيه وفتحوا الباب وتمكنوا من الدخول وأدركهم الليل

﴿ ذكر اضاعة حزم من اللشكرى بعد هذه الحال حتى ﴾

﴿ هرب وقتل أكثر أصحابه ﴾

ان اللشكرى لما تمكن من أردبيل سكنت نفسه الى الظفر وأشفق ان ينتهب البلد وتذهب الاموال عن يده وعن أيدى أصحابها . فرأى ان ينصرف الى معسكره وكان على ميل من البلد فيبيت ثم يصبح فيدخل المدينة نهارا فلما فعل ذلك بادر أهل المدينة الى سد تلك الثلم واحكامها وأغلقوا الابواب وعاودوا الحرب . فتحير اللشكرى وعلم انه فرط حين لم يدخل المدينة ليلا أو يوكل بالثلم من يحفظها واقبل قواده عليه يلومونه ويستعجزونه فلم يكن عنده الا الاعتراف بالخطأ . وبادر أهل المدينة برسلهم الى ديسم يعرفونه الصورة ويشيرون عليه بالمبادرة فى يوم يعينه حتى يخرجوا لمحاربته ويكبسه (٥) ديسم من ورائه فتمت لهم الحيلة واقبل ديسم فى ذلك اليوم بجموع كثيرة من الصعاليك والاكراد وخرج أهل المدينة بزى الديلم معهم التراس والزوبينات وهم نحو عشرة آلاف رجل فصافهم الحرب وخرج ديسم من ورائه فحمل عليهم فانهزم أقبح هزيمة وقتل اصحابه مقتلة عظيمة وذهب نحو موقان محروبا مسلوبا ليس معه كراع ولا سلاح . فخرج اليه اصفهبذ موقان ويعرف بابن دلوله متلقياً فأضافه مع قواده فشكره اللشكرى وسأله ان يقيم بضيافة أصحابه الى ان يمضى هو الى بلده وكانت بينه وبينها مسيرة أربعة أيام فيستخرج ذخائره ويخرج معه ابنه وأخاه ويجمع الرجال فأجابه ابن دلوله . ومضى اللشكرى مخفاً وعاد سريعاً ومعه ابنه

وابن أخيه وألف رجل من أحداث الجيل مستظهرين بالسلاح والآلات وعطف على آذربيجان طالباً ديسم ومساعده ابن دلوله الاصفهبذ فى أصحابه فهرب ديسم وعبر نهراً يقال له الرس وماؤه شديد الجرية وأخذ المعابر الى الجانب الذى حصل فيه وتازله الاشكرى مقيما بازاءه مدة لا يصل اليه . فاجتمع اليه ابنه وابن أخيه واحداث [٦] الجيل وجميعهم سباح لان بلادهم على شاطىء البحر وأعلموه أنهم تتبعوا هذا النهر من أعلاه الى أسفله فوجدوه على ثلاثة فراسخ من معسكرهم موضعاً منه ساكن الجرية واستأذنوه فى المخاطرة والعبور فأذن لهم . فصاروا الى الموضع ليلا ومعهم جماعة من البوقيين فسبحوا ومدوا حبالا متينا بين أوتاد محكمة فى الجانبين واستكوها وعبر الباقون بتراسهم وأسلحتهم وزحفوا الى عسكر ديسم وضربوا بالبوقات وقتلوا نفراً فانهزم ديسم واستولى الجيل على أموالهم وسوادهم واستغنوا بما حصل لهم وتم الظفر للشكرى .

وقصد ديسم وشمكير وهو بالرى فأعلمه ما جرى عليه من الشكرى وانه قد تمكن من آذربيجان وطابقه ابن دلوله اصفهبذ موقان وان بلاد الجيل قريبة منه والاستمداد سهل عليه وانه لا يلبث أن يقصد الرى وينازعه اياها ويلتمس منه عسكراً من الجيل والديلم ليكون بازاء الشكري وأصحابه وواثقه أن يجمع اليه من الاكراد وغيرهم عشرة آلاف رجل فرساناً وان يقوم بنفقة العسكر يوم دخوله الخونج وهو أول حدود آذربيجان من ناحية الري وان يقيم الخطبة على منابر آذربيجان [٧] كلها ويحمل اليه فى كل سنة مائة ألف دينار خالصة ويرد اليه العسكر الذى يجرد معه بعد فراغه من أمر الشكرى . فلما سمع وشمكير ذلك أهمه هذا الخطب واستجاب ديسم الى

كل ما يلتمسه وأخذ كل واحد منهما على صاحبه العهد والميثاق بالوفاء وابتدأ بتجريد العسكر . فالى أن يتكامل ذلك ورد الخبر بوفاة ابن دلوله الاصفهيذ وخلق كثير من أصحابه بعلة الجدرى وأقام بقية أصحابه مع اللشكرى فأنفذ اللشكرى بقائد كبير من أصحابه يقال له بلسوار بن ملك بن مسافر وهو ابن أخى محمد بن مسافر اللشكري الى نواحي الميانج[1] وهي تجرسيه مجري الثغر بينه وبين وشمكير وأمره أن يحفظ الطرق ويتتبع المجتازين ويفتشهم ويقرأ كتبهم تحرزا واستظهاراً فلم يلبث بلسوار ان ظفر بفيج معه كتب من قواد عسكر اللشكري الي وشمكير بالاعتذار اليه من دخولهم في طاعة اللشكري وانهم انما دخلوا معه وعندهم انه على طاعتهم وانهم ان رأوا راية من رايته قد أقبلت اليهم انحازوا اليها وصاروا بأجمعهم عليه فلما وقف اللشكري على هذه الكتب طواها وستر خبرها . وورد عليه انفصال[8] ديسم عن الرى فى عسكر وشمكير مع حاجبه الشابشتي فركب الى الصحراء وجمع قواده وعرفهم أقبال العسكر اليه وانه يتخوف أن يشتغل بحرب الجيل والديلم فيأتيه ديسم من ورائه ويجري الامر كما جري فى وقعة أرديل وانه قد عزم أن يرحل بهم الى بلاد الارمن فيغزوهم ويستبيح أموالهم ويبعد عنهم الي الموصل وديار ربيعة فانها بلاد كثيرة الغلات والاموال واسعة والرجال بها قليل . فساعدوه على ذلك ورحل بهم الي أرمينية وأهلها غارون فنهبهم واستباح أموالهم ومواشيهم وسبي خلقا كثيراً وانتهي الى زوزان وفى يده وأيدى قواده من المواشي التى غنموها شيء كثير لا ينضبط ولا يعرفون مبلغها وقد وكلوا بها الرعاة فكانوا يخرجونها الي مسارحها بكرة ويردونها

(١) وفي الاصل : المناهج

عشية الى معسكرهم . وكان بالقرب من زوزان قلعة للارمن فيها عظيم من عظمائهم يقال له أطوم بن جرجين وهو قريب لابن الديراني ملك الارمن فسأل اللشكري بمراسلة لطيفة ان يكف عن الارمن فانهم معاهدون يؤدون الاتاوة وأطمعه فى مال يحمل اليه صلحا فأجابه الى ما طلبه .

﴿ ذكر حيلة تمت لهذا الارمنى على اللشكري حتى قتله ومعظم أصحابه [٩] ﴾

كان هذا الارمنى عرف سرعة ركاب اللشكرى وخفته وانه يقدم بلا روية ويتسرع بلا تدبير فكمن كمينا على جبلين بالقرب من موضعه الذى كان معسكراً فيه بينهما مسلك مضيق ثم دس الى المواشى التى معه جماعة من الارمن حتى قتلوا رعاءها واستاقوها فى ذلك المضيق . وهرب بعض الرعاء الى اللشكرى مجروحا فصادفه خارجا من الحمام فى سوق زوزان فأخبره الخبر فسار لوقته وأخذ ذلك الراعى بين يديه ليدله على الطريق وليس معه الا ستة نفر من غلمانه أخذهم فتح اللشكرى (وهو أحد قواد السلطان بمدينة السلم وقد شاهدته) وكان موصوفا بالبسالة والشجاعة وراسل باقى أصحابه فى العسكر أن يلحقوه .

﴿ ذكر اتفاق حسن اتفق لفتح هذا الغلام ﴾

(حتى سلم وحده من القتل)

اتفق ان عمزت دابة كاتبه لما قضاه الله من سلامته فنزل لينظر ويصلح حافرها فسبقه اللشكري ولم يعرج عليه ومضى مع الخمسة النفر الذين بقوا معه فوصل الى المضيق قبل أن يلحقه أصحابه الذين استدعاهم من المعسكر وولج الموضع . فلما توسطه ثار اليه الكمناء فقتلوه والغلمان الذين معه وأخذوا رؤسهم وأثلاءهم وتركوا جثتهم ومضوا . ثم وصل العسكر [١٠]

الى الفتح بهذا الغلام وتبعوا اللشكري فلما رأوا جماعتهم عرفوهم فانصرفوا منزلين . واجتمع أهل عسكره فعقدوا الرياسة لابنه لشكرستان وتقرر الرأي بينهم على أن يسيروا بأجمعهم في طريق عقبة صعبة شاقة تعرف بعقبة التنين ليحرزوا سوادهم واثقالهم وغنائمهم من ورائها ويرجعوا الى بلد أطوم ابن جرجين فيدركوا ثارهم منه ويأتوا عليه قتلا ونهباً

﴿ ذكر حيلة نمت عليهم ثانية حتى قتلوا بأجمعهم الا نفر يسير جداً ﴾

﴿ وذلك لقلة احتراسهم من المضائق وجهلهم المسالك واغترارهم بالشدة ﴾

كان أطوم بن جرجين بث جواسيسه ليعرف أخبارهم واطلع على هذه العزيمة منهم فسبقهم بان رتب على رؤس الجبال فى طريقهم جموعاً من الارمن يرمونهم بالحجارة وكان طريقهم من هذه الجبال على موضع عرضهُ نحو خمسة أذرع وعلى يسرته الجبل وعن يمينه نهرٌ عظيم جار والهوى اليه أكثر من مائة ذراع ووقف الارمن مُتمكنين على هذا الموضع وسار أطوم بنفسه من قلته فى نفر فكمن على طريق المضيق حتى ان أفلت انسان منهم أوقع به . فلما انتهى الخيل والديلم الى ذلك المضيق أرسلوا عليهم الحجارة فكانت الصخرة تأتى فتصدم الراكب والمركوب والرجالة والبهائم والجمال فلا يمتنع منها شيء ويسقطون الى النهر ويتلفون . فترجل قوم [11] من الفرسان ودخلوا من قوائم الدواب فربما سلم الواحد بعد الواحد فهلك فى ذلك الموضع أكثر من خمسة آلاف رجل . وسلم جماعة وسلم لشكرستان فيمن سلم ومضى بمن معه الى ناصر الدولة وهو بالموصل لا تدين به فنزلهم بشيء من الارزاق يسير . فاختار بعضهم أن يقبض نفقة وينصرف عنه واختار بعضهم أن يقيم مع لشكرستان فأما الذين قبضوا النفقات فأخذوا جوازات

وانحدروا الى واسط لاحقين ببجكم وأما الباقون فانهم كانوا خمسمائة رجل فجردهم ناصرا لدولة مع ابن عمه أبي عبدالله الحسين بن حمدان من آذربيجان لما أقبل اليها ديسم الكردي وكان ديسم هذا من قواد ابن أبي الساج وكان أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان مقلداً من قبل بن عمه ابي محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان ناصر الدولة أعمال المعاون بآذربيجان

وفيها اختص قاضي القضاة أبو الحسين عمر بن محمد بالراضي بالله حتى حل محل الوزراء وصار الراضي يشاوره في الامور ويدخله في التدبير ويصل اليه مع عبد الله بن علي النفري خليفة الوزير الفضل بن جعفر ولا ينفذ أمراً الا بعد مشورته [1]

(وفيها قصد الراضي بالله بجكم معه ديار ربيعة والموصل)
ذكر السبب في ذلك [12]

كان السبب في ذلك ان ناصر الدولة أخّر ما اجتمع عليه من مال

---

(١) وفيه أيضاً في ترجمة هذه السنة : وفيها ورد كتاب من ملك الروم والكتابة بالذهب وترجمتها بالعربية بالفضة وهو من رومانس وقسطنطين واسطانوس عظماء ملوك الروم الى الشريف البهي ضابط سلطان المسلمين : بسم الآب والابن وروح القدس الاله الواحد الحمد له ذي الفضل العظيم الرؤف بعباده الذي جعل الصلح أفضل الفضائل اذ هو محمود العاقبة في السماء والارض . ولما بلغنا ما رزقته أيها الاخ الشريف الجليل من وفور العقل وتمام الادب واجتماع الفضائل أكثر ممن تقدمك من الخلفاء حمدنا الله . وذكر كلاماً يتضمن طلب الهدنة والفداء وقدموا تقدمة سنية فكتب اليهم الراضي بالنشاء أحمد بن محمد بن ثوابة (وهو صاحب ديوان الرسائل : ارشاد الاريب ٢ : ٨٠) بعد البسملة : من عبدالله أبي العباس الامام الراضي بالله أمير المؤمنين الى رومانوس وقسطنطين واسطانوس رؤساء الروم سلام على من اتبع الهدي وتمسك بالعروة الوثقى وسلك سبيل النجاة والزلفي . وأجابهم الى ما طلبوا .

الحمل الذى كان فى ضمانه للموصل وأخّر مال الضياع التى فى عمله بخدمة الراضي بالله فكان الراضى مغيظا عليه فاجتمع رأيه مع بجكم على قصده.

ودخلت سنة سبع وعشرين وثلثمائة

فلما كان يوم الثلاثاء لثلاث خلون من المحرّم خرجا وأقام الراضى بتكريت ونفذ بجكم الى الموصل فى الجانب الشرقى من دجلة . فتلقته زواريق أنفذها ناصر الدولة فيها دقيق وشعير وحيوان هدية الى الراضى فأخذها بجكم وفرق مافيها على حاشيته وأصحابه وفرغها وعبر فيها الى الجانب الغربى وسار حتى لقي ناصر الدولة بالكحيل . وجرت بينهما وقعة وانهزم فيها أصحاب بجكم[1] ثم حمل بجكم بنفسه على ناصر الدولة حملة حقق فيها فانهزم وتبعه بجكم ولم ينزل الموصل الى أن بلغ نصيبين . ومضى ابن حمدان على وجهه الى آمد وأقام بجكم بنصيبين وكتب الى الراضى بالله بالفتح فلما ورد كتابه بالفتح على الراضى بالله سار من تكريت يريد الموصل وكان مسيره فى الماء

وكان قبل ورود كتاب بجكم بالفتح قد لحق القرامطة الذين مع الراضى بتكريت مضائقة فى أرزاقهم فانصرفوا مغضبين الى بغداد فلما وصلوا اليها ظهر ابن رائق من استتاره ببغداد وانضموا اليه ويقال ان انصرافهم من تكريت كان بمراسلة[13] منه اليهم ومكاتبة فى اجتذابهم وورد الخبر بذلك مع طائر الى تكريت فخاف الراضى أن يسرى اليه ابن رائق والقرامطة فيأخذونه فخرج من الماء مبادراً وركب الظهر وسار الى الموصل ودخلها[2]

(١) زاد صاحب التكملة : وأستوسر أبو حامد الطالقاني (٢) وزاد أيضاً : وكتب الراضي الى بجكم فاستخلف على أصحابه وجاء اليه الى الموصل . فجرى بين أصحابه وبين أهلها فتنة فركب ووضع فيها السيف وأحرق مواضعاً في البلد

ومعه علي بن خلف بن طناب كاتبه وهو قلق من ابن رائق. ولما بلغ الحسن ابن عبدالله بن حمدان انصراف بجكم من نصيبين سار من آمد اليها فانصرف عنها وعن أعمال ديار ربيعة من كان خلفه بجكم فيها من قواده وصاروا الى الموصل وحصات ديار ربيعة في يد ابن حمدان . فزاد ذلك في قلق بجكم وأخذ أصحاب بجكم يتسللون ويخرجون من الموصل الى بغداد حتي احتاج بجكم الى أن يسد أبواب دروب الموصل ويحفظ أصحابه وزاد ذلك في اضطراب بجكم الى أن قال : حصلنا على أن يكون في يد الخليفة وأمير الامراء قصبة الموصل فقط .

وأنفذ بن حمدان قبل أن يتصل به خبر ابن رائق وظهوره ببغداد أبا أحمد الطالقاني الذي كان أسره الى بجكم يلتمس الصلح ويبذل أن يقدم خمسمائة ألف درهم معجلة . فلما ورد الرسول وأدى الرسالة فُرّج عن بجكم وفرح بأن ابتدأه بنو حمدان بمسئلة الصلح وكان فكر في تسليم الموصل اليه والانحدار لدفع ابن رائق. فبادر وركب من وقته الى الراضي وعرفه ما ورد به الطالقاني واستأذنه في امضاء الصلح . فامتنع الراضي لشدة غيظه على ابن حمدان فعرفه ان الصواب في اجابته اليه والمبادرة الى بغداد التي خرجت عن يده وهي دار الملك فأذن له في المصالحة فرد من يومه الطالقاني بالصلح وأنفذ معه الخلع واللواء والقاضي أبا الحسين ابن أبي الشوارب ليستحلف ابن حمدان ورجع مع مال التعجيل[1]

(١) وفي قصد الراضي بالله وبجكم الموصل قال أبو بكر الصولي في الاوراق : كان الراضي قبل خروجه يذكر أمره ونهوضه ويقول : لابدّ لي منه. فتشير عليه أن لا يفعل ذلك . وكان ممن يوافقني على الرأي في تركه الخروج عمر بن محمد القاضي فلم يلتفت الى قول أحد ولا أظهر ما أراده وما عزم عليه . . . . . وكرهت العامة خروج السلطان الى

وبعد نفوذ الطالقاني جاء جعفر بن ورقاء وتكينك من عند بجكم الى الموصل ثم تبعهما محمد بن ينال الترجمان فى مُرقعة منهزمين من يد ابن رائق

الموصل لجيشهم للحسن بن عبد الله (بن حمدان) وعنايته بانفاذ الدقيق اليها ولبده بالاشراف وما تصدَّق على الضعفاء بسرّ من رأى وبغداد ولكفاية أخيه (يعني سيف الدولة) على الناس أمر الثغور والغزو وعنايته بغزو الصائفة وغيرها . . . . فوصل الراضي الى سرَّ من رأي وأنفق في أصحاب بجكم ذخائر منيفة كان أعدها لنفسه . وظن الناس انه سيقيم بسر من رأي وينفذ بجكم الى الموصل فان احتاج اليه لحق به والاَّ أقام بمكانه وجعل كلَّ من يصل اليه يشير عليه بذلك . وورد عليه الخبر بتحرُّك أمر ابن رائق وانه يكاتب الناس للوثوب ببغداد فظننا مع ذلك انه لا يبرح فانطلقت الالسن لاجل ذلك بالمشورة عليه ان لا يبرح من سرَّ من رأي . وكان أشد الناس كراهة لخروجه ووصله القاضي عمر ابن محمد وذكي الحاجب فكنا نجتمع على ما نقوله

وورد كتب الحسن بن عبد الله الى الراضي والى بجكم يتضمن لهما أكثر مما ظن انه يبذله له وكتبه بذلك متصلة الى القاضي وهو يتولى إيصالها عنه وينفذ الجواب وكان يقرأني كل شيْ يرد . فأقام الراضي أياما بسر من رأي وطمعنا فى رجوعه واتفقت مع القاضي على ان يكلم الراضي كل واحد منا اذا خلا به ورأي وجهاً للكلام فوصلت اليه بسر من رأي يوما وحدي فقلت : يا أمير المومنين ان العبد المنفق لا يملك كتمان ما يقلبه لمولاه ولا يذخره النصح وما عليَّ شيْ من ان يسمع قول عبده فان كان صوابا أمضاه وان كان خطأ جعله بمنزلة مالم يسمعوا . فضحك وقال : هات ما عندك . فقلت : ان الناس يتحدثون بان العسكر الذى قد رحلتَ لتزيله أشبه بعساكر الاسلام من العسكر الذي تقصده به من قوم لا يرون طاعتك وأشبه بعساكر آبائك وقد تحدثوا بان الحسن قد بذل أكثر مما أريد منه . فان رأي سيدنا ان لا يقبل هذا ويرجع الى رأى ملكه ويزول ما يخافه من وثوب ابن رائق فانه غير مأمون (وكان الراضي قد أمر بان ينادى على ابن رائق ويطالب فكبست مواضع كثيرة) ومع هذا فان الحسن بن عبد الله قد نظر الى أقرب الناس من قلبك وهو قاضيك فجعله السفير له والضامن عنه وانه يلقاه فينصرف بجميع ما يريده وهاهنا أيضاً أمر آخر . قال : وما هو ؟ قلت : اذا يئس الحسن من قبول سيدنا ما بذل لم نأمن ان يصرف أمره الى غيره ويلقى نفسه عليه ويتقرب اليه ويمحضه بعض ما بذله فيجعله صنيعة له وعادة لدهره وعدة لجدته ويكلم من يلقي نفسه

ووصفوا انه لما ظهر من استتاره ببغداد انضمّ اليه ثلثمائة رجل من القرامطة فلقيه بديع غلام جعفر بن ورقاء وانهزم بديع وخرج الى ابن رائق وهو بالمصلّى جماعة من الجند والحجرية وخلق من العامه وقالوا : نحن نقاتل بين يديك . فاعطاهم خمسة دراهم وثلاثة دراهم . وكان جعفر بن ورقاء واحمد بن خاقان وابن بدر الشرابي فى دار السلطان وما يليها فراسلهم ابن رائق وسألهم الافراج له ليمضى الى داره التى هي دار مونس فانزلها بجكم فمنعوه من ذلك فقاتلهم وانهزموا وقتل ابن بدر واستأمن الى ابن رائق جماعة من الرجال فوعدهم [١٥] بالعطاء وأعطاهم خواتيم طين تذكرة بالمواعيد وصار الى دار السلطان وكتب الامانة لمن فيها وراسل والدة الراضى بالله وحُرمه برسالة جميلة وصار الى دار مونس التى كان ينزلها بجكم فقاتله تكين عنها وانهزم تكين وملك ابن رائق الدار . ثم أقبل محمد بن يزال الترجمان من واسط فى أربعة آلاف من الاتراك والديلم وغيرهم ليدفع ابن رائق عن بغداد فتلقاه ابن رائق بالنهروان وجرت بينهم حرب شديد وانهزم الترجمان وصار في مُرقّعة الى الموصل .

وأقبل ابن رائق يشير ودائع بجكم وأمواله وأنفذ أبا جعفر ابن شيرزاد الى بجكم بجواب الصلح منه فتقدم اليه بجكم المقام وأنفذ بجواب الرسالة قاضي القضاة أبا الحسين عمر على أن يُقلد طريق الفرات وديار مضر وجند قنسرين والعواصم وينفذ اليها . ورجع الطالقانى وابن أبى الشوارب القاضى من عند

عليه « سيدنا » في أمره ويسأله له ما يريده فيقبل منزلهُ ويهب له أمرهُ فتخطى بما أردنا أن يحظي به . (اعرض ببجكم) فما رأيته أطال الفكر عند شيء سمعه أكثر مما أطاله بعقب قولى . . . . . وكان يقول : اني سأسكن بسر من رأى واترك بغداد .

ابن حمدان بتمام الصلح وبعض المال فانحدر الراضي وبجكم من الموصل . ولما صار قاضي القضاة الى ابن رائق لقيه وقرر أمره على تقلد الاعمال التي تقدم ذكرها فخرج ابن رائق من بغداد متوجهاً الى أعماله ووصل الراضي وبجكم الى بغداد يوم السبت لتسع خلون من شهر ربيع الاول

وفيها مات الوزير [١٦] أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات بالرملة وكان الراضي أنفذ خادماً يستدعيه فوصل الخادم وقد مات فكانت مدة وقوع اسم الوزارة عليه سنة واحدة وثمانية أشهر وخمسة وعشرين يوماً [١] وقلد مكانه أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد وسلم اليه علي بن خلف فصادره على خمسين ألف دينار وسفر أبو جعفر بن شيرزاد في الصلح بين بجكم وبين البريدي فتم ما شرع فيه وضمن أبو عبد الله البريدي أعمال واسط بستمائة ألف دينار في السنة .

ولما اتفق موت الوزير أبي الفتح وصولح البريدي شرع أبو جعفر ابن شيرزاد في تقليد أبي عبد الله البريدي الوزارة وأشار بذلك [٢] فأنفذ الراضي بالله أبا الحسين [٣] الى أبي عبد الله البريدي في تقلد الوزارة فامتنع منها ثم استجاب اليها وتقلد الوزارة وخلفه عبد الله بن علي النفري بالحضرة كما كان يخلف الفضل بن جعفر .

وكان بجكم قلد بابا التركي أعمال المعاون بالانبار فكاتبه يلتمس منه أن يقلده أعمال طريق الفرات باسرها ليكون في وجه ابن رائق وهو بالشام فقلده ذلك فنفذ الى الرحبة وغلب عليها وكاتب ابن رائق وأقام له الدعوة

(١) يراجع فيه ما قال أبو عمر الكندي في كتاب الولاة ص ٢٨٧ (٢) زاد فيه صاحب تاريخ الاسلام أنه قال : نكتفي شره (٣) يعني القاضي عمر بن أبي عمر محمد

فى أعمال طريق الفرات وعظم أمره بها واتصل خبره ببجكم

﴿ ذكر سرعة تلافي بجكم أمر بالبا قبل أن يستفحل [١٧] ﴾

أنفذ بجكم غلامه بوستكين وعدلا حاجبه وقطعة من جيشه نحو أربعماية رجل فوصلوا الى الانبار وقت العصر من يومهم وساروا من سحر ليلتهم الى هيت وأخذوا منها الادلاء فسلكوا طريق البرية ووصلوا الى الرحبة في خمسة أيام فدخلوها من بابين من أبواب الرحبة وجميع ذلك بوصية بجكم ورسمه فعملا بما رسم . فعرف بالبا الخبر وهو على طعامه فوثب الى سطح واستتر عند بعض الحاكة وأخذ من عنده وانحدروا به الى الانبار . ثم ادخلاه بغداد مشهراً على جمل عليه نقنق وهو مصلوب ثم خفى امره فيقال ان بجكم سمه . [١]

ودخلت سنة ثمان وعشرين وثلثمائة

وفيها تزوج بجكم سارة [٢] بنت الوزير أبى عبدالله أحمد بن محمد البريدى بحضرة الراضى على صداق مائتى ألف درهم

واشتد أبو جعفر ابن شيرزاد في معاملة التناء وزاد في المساحة واحتج عليهم بعلو الاسعار ووفورها وطالبهم بالتربيع والتسعير والسلف وأظهر ظلمه

وفيها سار الامير أبو على الحسن بن بويه الى واسط وكان البريديون بها فأقام الامير أبو على فى الجانب الشرقي منها والبريديون في الجانب الغربى

﴿ ذكر السبب فى ذلك ﴾

كان أبو عبد الله أنفذ جيشاً الى السوس وقتل قائداً [١٨] من الديلم

(١) قال صاحب التكملة : وكان أحد قواد بجكم ابراهيم بن أحمد أخو نصر بن أحمد صاحب خراسان فقلده بجكم الشرطة ببغداد (٢) وفي تاريخ الاسلام : شارة

واضطرّ أبا جعفر الصيمرى الى التحصن بقلعة السوس وكان متقلداً أعمال الخراج بها . وخاف أبو الحسين أحمد بن بويه ان يصير البريدى الى الاهواز من البصرة وكان أبو على الحسن بن بويه أخوه مقيما بباب اصطخر فكتب اليه أبو الحسين أخوه يستنجده فوافاهُ يطوى المنازل طياً فى عشرة أيام . وكانت الضرورة دعت أبا الحسين أحمد بن بويه الى ان خرج من السوس فلما وصل أخوه أبو على الى السوس دخل أبو الحسين أحمد بن بويه الاهواز. وكان أصحاب وشمكير قد تغلبوا على أصبهان فسار الامير أبو على الحسن بن بويه الى واسط طمعاً فى ان يحصل له فاضطرب رجالهُ لانه ما كان أنفق فيهم منذ سنة واستأمن من أصحابه مائة رجل الى البريديين . وسار بجكم والراضى من بغداد لحربه فاشفق ان يقع التضافر عليه ويستأ من رجاله فانصرف الى الاهواز ومنها الى رامهرمز ثم سار الى اصبهان ففتحها واستأسر بضعة عشر قائداً من قوّاد وشمكير ورجع الراضى بالله وبجكم الى بغداد .

وفيها خرج بجكم الى الجبل فلما بلغ قرميسين عاد الى بغداد ومعه مستأمنة الديلم .

﴿ ذكر السبب فى خروج بجكم الى الجبال ورجوعه عنها وسبب فساد الحال بينه وبين البريدى بعد الوصلة والصلاح[١١] ﴾

لما صاهر بجكم البريدي وخلُص ما بينهما كاتبه ان ينفذ الى الجبل لفتحها وان يخرج هُو الى الاهواز لفتحها ودفع أبى الحسين أحمد بن بويه عنها وأنفذ اليه حاجبه عدلا فى خمسمائة رجل نجدة ليضمهم الى رجاله . قال أبو زكريا السوسي : وأخرجنى معه لان أزعجهُ وأحثه على المسير مع الجيش كله اذ كان ابتداؤهم بالسوس . (قال) فخصلتُ بواسط وأظهر البريدى ما وددت

وعدل الحاجب له حتى اذا حصل بجكم بحلوان طمع البريدى فى المسير الى بغداد وأخذ الدفائن التى لبجكم فى داره والعود بها الى واسط وكانت عظيمة فما زال يتربص ويدافع ويقدم رجلا ويؤخر أخرى تارة تشره نفسه الى المال وتارة يرهب من مكاشفة بجكم ويتوقع مع ذلك دائرة على بجكم من قتل أو هزيمة فيتمكن مما يريد . وامتدت أيامنا حتى اقنا زيادة على شهر وكتب بجكم ترد علينا بان نعرفه ما عاملناه فاذا أقرأناها البريدىّ قال : أنا سائر غير متلوّم . ثم يتراخى قفطناً لما فى نفسه وقلتُ لعدل سرّا : انفذ الى بجكم من يعرّفه الخبر . فبادر اليه بركانىّ يثق به فلما وصل الى بجكم لم يلبث ان ركب الجمازات ووافى مدينة السلام وخلف عسكره وراءه .

وسقطت الاطيار على البريدى بدخول بجكم بغداد [٢٠] وانه لا يدرى أهو منهزم أم مجتازٌ فابلس ودهش وتحير وهمّ بالقبض علىّ وجذبنى الى البصرة وعملتُ انا على الاستتار خفتُ ان يثيرنى ويخرجنى لان واسط بلدٌ صغيرٌ فكنتُ على ذلك أتردّدُ اليه متجلداً . ثم دعانى وقت عصر بعدّة غلمان فلم أشك فى انه للقبض علىّ فوصلتُ اليه وقت المغرب وقد قام فدخل الى كلة له هربا من البق فقال لى : عرفتَ الخبر ؟ قلتُ : ماذا . فقال: سقط طائر قبل العصر بان بجكم قد سار الى واسط . فقلتُ : هذا باطل متى ورد بغداد ومتى خرج ؟ فقال : دَع هذا عنك فانى لا أشك فيه قم اخرجْ الساعة اليه وازل ما أوحشه منى وهات يدك . فناولتهُ اياها وجعلها على أذنه وقال : خذنى الى النخاسين وبعنى فانى لا أخالفك واكفنى هذا الباب ولا تسألنى عما تعمل . فقبلتُ يده ورجله والارض بين يديه وقلتُ له : امضى أتأهبُ . فقال : قد تأهبتُ لك وقُدّم لك طيارٌ وجرّدتُ

خمسين غلاماً لبذرقتك وانزل الى الطيار ففيه زاد يكفيك الى الحضرة وغلمانك يتلاحقون بك . فلم أتمالكْ سروراً ثم خشيتُ ان يكون قد اغتالني واني اخرج فيؤخذني الى البصرة ونهضتُ من عنده فما تاب اليّ عقل الا بفم الصلح [٢١] فلما وصلتُ الى نهر سابس لقيني خادم من داري ببغداد برسالة بجكم اليّ اني استتر وأسر بذلك اليّ . وسألني من معي من غلمان البريدي عما ورد به الخادم فعرفتهم انه أخبرني بحال علية لي وانها مشفية وسرتُ مبادراً . وأصبح البريدي نادماً على إنفاذه اياي ووجه خلفي من يطلبني لان طائراً سقط عليه بما آيسه من صلاح بجكم له وأغرى بي في الكتاب فكفاني الله . ووصلتُ الى دير العاقول وبها أحمد بن نصر القشوري فخرجت اليه وأراد ان يأخذ الطيار ويوقع بالغلمان فلم أتركهُ ندوتُ للغلمان وردتهم في الطيار وجلستُ انا في طيار أحمد بن نصر ووافيت الزعفرانية ولقيت بها بجكم وصعدتُ اليه فحدثته بالحديث . واجتهدت في إصلاحه للبريدي ورده الى بغداد فابى فقال : لو لقيني وأنا على درجة من داري لما تهيأ لي أن أعود فانها تكون هزيمة فكيف وقد سرتُ ووصلتُ الى ههنا . وانحدرت معه فقبض على أبي جعفر بن شيرزاد بواسط لانه كان سبب البريدي عنده وهو الذي أشار بوُصلته . وأظهر بجكم صرف أبي عبد الله البريدي عن الوزارة وأزال اسمها عنه وأوقعهُ على أبي القاسم سليمان بن الحسن فكان اسم الوزارة عليه وخلع عليه خلع الوزارة والامور [٢٢] يدبرها كاتب بجكم وهو ابن شيرزاد الى أن قبض عليه . فكانت مدة وقوع اسم الوزارة على أبي عبد الله البريدي سنة واحدة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوما .

وكان بجكم عند اخراج مضربه الى الزعفرانية متوجهاً الى البريدي

أحبّ أن يكتم خبر انحداره وكان انحداره في حديدي فضبط الطرق ومنع من نفوذ كتاب لاحد لئلا يكتب بخبر انحداره .

﴿ ذكر اتفاق ظريف غريب ﴾

كان معه في الحديدي كاتب له على أمر داره وجرايات حاشيته وكان له أخ في خدمة البريدي . فلما جلس بجكم في الحديدي سقط على صدر الحديدي طائر فصادره غلمان بجكم وجاءوا به الى مولاهم فوجد على ذنبه كتاباً فقرئ فاذا هو كتاب من كاتبه هذا الى أخيه بخطه يعرفه فيه انحدار بجكم ومن أنفذ على الظهر من الجيش وسائر أسراره وعزائمه . فلما وقف عليه بجكم عجب واغتاظ وأحضر هذا الكاتب ورمي اليه بالكتاب فسقط في يده ولم يمكنه جحده لانه بخطه المعروف فاعترف به فامر به فرُمي بالزوبينات بحضرته الى أن قتله ورمى به في الماء وسار الى واسط فوجد البريدي قد انحدر منها ولم يقف .

وفي ذي الحجة من هذه السنة ورد الخبر بان ابن رائق أوقع بابي نصر ابن طغج أخي الاخشيد فانهزم أصحاب أبي نصر ابن طغج واستؤسر وجوه قوّاده وقتل أبو نصر ابن طغج [٢٣] فاخذه ابن رائق وكفنه وحنطه وحمله فمات الى أخيه الاخشيد وأنفذ معه ابنه مزاحم بن محمد بن رائق وكتب الى الاخشيد معه كتابا يعزّيه فيه بأخيه ويعتذر مما جري وانه ما أراد قتله وانه قد أنفذ اليه ابنه ليقيده به ان أحبّ ذلك . فتلقى الاخشيد فعله ذلك بالجميل وخلع على أبي الفتح مزاحم ورده الى أبيه واصطلحا على أن يفرج ابن رائق للاخشيد عن الرملة ويكون باقي الشام في يد ابن رائق ويحمل اليه الاخشيد عن الرملة مائة وأربعين ألف دينار .

وفيها دخل أبو نصر محمد بن ينال الترجمان من الجبل منهزماً من الديلم واتصل خبر هزيمته ببجكم وهو بواسط فوجه بمن ضربه فى منزله بالمقارع وقيده وحبسه مدة ثم رضى عنه [1]

﴿ ودخلت سنة تسع وعشرين وثلثمائة ﴾

وفيها كان القبض من بجكم على كاتبه ابن شيرزاد واستكتب أبا عبد الله الكوفى فكانت مدة كتابة ابن شيرزاد لبجكم وتدبيره الملك وقيامه مقام الوزراء تسعة عشر شهراً وثلاثة عشر يوما . وحين أراد القبض عليه كاتب تكينك خليفته على يد مسرع بأن يحض أبا القاسم الكلواذي وأصحاب الدواوين والعمال والمهندسين ويتقدم اليهم بان يتوافقوا على أمر المصالح بالسواد وأن يعملوا عملا [2] بما يحتاج اليه ناحية ناحية فاذا فرغ منه تسلمه منهم وقبض على فلان وفلان (قوم أسماهم له من الكتاب) فاذا حصلوا كتب على عدة أطيار بخبر حصولهم . فاحضرهم تكينك وناظرهم فى دار بجكم على أمر المصالح فلما فرغوا من ذلك وأرادوا الانصراف اعتقل من اسمى له منهم وفيهم أبو الحسن طازاذ بن عيسى ومحمد بن الحسن بن شيرزاد والمعروف برهرمه وجماعة من الكتاب والعمال وكتب بخبر القبض عليهم . فلما عرف خبرهم و حصولهم فى القبض قبض حينئذ على أبى جعفر ابن شيرزاد وزيره [3]

---

(١) وزاد صاحب التكملة فى ترجمة هذه السنة : وفي شعبان توفى قاضي القضاة أبو الحسين فتوسط أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي أمر ابنه أبي نصر على عشرين الف دينار حتى ولي مكانه وترجمة القاضى أبي الحسين عمر موجودة فى ارشاد الاريب ٦ : ٥٦ ، وفيها توفي أبو عبد الله القمي وزير ركن الدولة وقلد مكانه أبو الفضل ابن العميد

(٢) وأما قصة ابن شيرزاد فى استتاره ليراجع كتاب الفرج بعد الشدة ٢ : ١٣٧ — ١٣٩

ومما يستدلّ به على دهاء بجكم ما حكاهُ ثابت عن أبي عبد الله الكوفي قال : قال بجكم بعد قبضه على أبي جعفر ابن شيرزاد : كان يقال لي ان أبا جعفر موسر كثير المال وكنتُ أظن أن اعداءه يكثرون عليه فأردتُ ان أمتحن صحة ما يقال فيه فقلت له يوماً : قد أودعت الارض مالا كثيرا وعملت على ان أودع الناس شيئا آخر ولست أثق باحد تقتي بك وأريد ان أودع عندك شيئا فهل تنشط لذلك ؟ فقال لي : وكم مبلغه ؟ فقلت : مائة الف دينار . فقال لي مسرعاً « نعم » ولم يستكثرها ولا رأيت في وجهه اعظاما لها . فلما رأيت قوة قلبه ونشاطه للامر وان المقدار لم يهلهُ ولا عظم في نفسه علمت ان الذي قيل في يساره[٢٥] وكثرة ماله حقٌّ . فسلمت اليه مائة الف دينار وتركته مدة طويلة ثم قلت له : قد احتجت الى تلك الدنانير فينبغي ان تردّها . فقال « نعم » وحمل بعد أيام جزءا منها ثم اقتضيته فحمل شيئا آخر ثم اقتضيته فحمل جزءا آخر فأظهرتُ غضباً وقلت له : دفعها اليك جملة وتردها تفاريق ! فارتاع لغضبي وصياحي عليه ودهش فخجل وقال : انا أصدق الامير ليس لي من أثق به في هذه الاحوال الاّ أختي وليس تطيق حمل الجميع ولا لها حيلة الاّ أن تحمله شيئا بعد شيء . فسكت وقلت « يجوز » وحصلت من كلامه ان الذي يجري على يده أمر ودائعه هو أخته فلما قبضت عليه وطالبته أخذ يتأتى فوجهت اليه : لا تتأتى فان أختك قد وقعت في يدي . ولم تكن قد وقعت وانما أردتُ أن أرعبهُ (قال) فاحتال وبلغ ما أردته

وفيها في ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الاول مات الراضي بالله[١]

---

(١) قال صاحب كتاب العيون : وفي هذه السنة مات زيرك الخادم القاهري فاشتد حزن الراضي عليه وخرج من داره مستوحشاً منها لفقد زيرك الى الشماسية فأقام بدار

وكان قد انكسف القمر كله وكان موته بالاستسقاء الزقي واستتر كاتبه أبو الحسن سعيد بن عمرو بن سنجلا وانقضت أيامه . وكان رجلا أديبا شاعرا حسن البيان يحب محادثة الادباء ومعاشرتهم ولا يفارق الجلساء وكان سمحاً سخياً واسع النفس . (٢٦) وطمع بجكم فى جماعة من ندمائه وظن انه ينتفع مع محبته بآدابهم فلما نظر لم يجد من يفهمه ما ينتفع به الا سنان بن ثابت فان سنانا كان ينادمه الراضى بالله قال سنان : دعاني بجكم ووصلني وأكرمني ثم قال لى: أريد أن أعتمد عليك فى تدبيرى وأمور جسمى ومصالحي وفى أمر آخر هو أهم الى من أمر بدنى وهو أمر اخلاقي فقد وثقتُ بعقلك وفضلك وقد غمنى غلبة الغضب والغيظ علىّ وافراطها فى حتى أخرج الى ما أندم عليه من ضرب وقتل فانا أسألك ان تتفقد ما أعمله ثم تعالجنى مما تكرهه واذا عرفتَ لى عيباً لم تحتشم ان تذكره لى ثم ترشدنى الى علاجه ليزول عنى . (قال) فقلت له : السمع والطاعة ولكن فى العاجل اسمع منى جملة علاج ما أنكرته من نفسك الى ان يجيء التفصيل . اعلم أيها الامير بأنك قد أصبحتَ وليس فوق يدك يد لمخلوق وانه لا يتهيأ لاحد منعك مما تريد ولا ان يحول بينك وبين ما تهواه أىّ وقت اردته وانك متى أردتَ شيئا بلغته فى أي وقت شئتَ لا يفوتك منه شيء ثم اعلم ان الغيظ والغضب يحدث فى الانسان سكرا أشد من سكر الشراب المسكر بكثير فكما ان الانسان يعمل فى وقت السكر من التبذ

ربق مولي ابراهيم بن المهدي (وكان قد ملك هذه الدار بعد ريق اصطفن النصراني) وسب الراضى من دنان المطبوخ من عهد المعتمد في دجلة أربعمائة دن حزنا على زيرك وكان يقول : مات مائة قاضى وصاحب رأي وخادم كافى . وكان قد أقطعه البستان المعروف بالشفيني وأعطاه من المال والجوهر ما يتجاوز قدره فأمر ببيع جميع ذلك وان يتصدق بثمنه عن زيرك .

ماينـدم عليه وما لا يعقل به ولا يذكره اذا صحا كذلك [٢٧] يحدث في حال السكر من الغضب بل أشد فيجب كما يبتـدىء بك الغضب وتحس بانه قـد ابتدأ يغلبك ويسكرك وقبل ان يشتد ويقوى ويتفاقم ويخرج من يدك . فضع فى نفسك ان تؤخر العقوبة على الذنوب وتتركها تغبّ ليـلة واثقاً بان ماتريد ان تفعله فى الوقت لا يفوتك عمله فى غـد . وقد قيل « من لم يخف فوتاً حلم » فانك اذا فعلتَ ذلك وبتَّ ليلتك وسكنتَ فلا بد لفورة الغضب من ان تبوخ وتسكن وتصحو من السكر الذى أحدثه لك الغضب وقد قيـل ان أصح ما يكون الرأى اذا اسـتدبر الانسان ليلته واستقبل نهـاره . فاذا صحوت من سكرك فتأمل الامر الذى أغضبك فان كان مما يجوز فيه العفو ويكفى فيـه العتاب والتهـديد أو التوبيخ أو العزل فلا تتجاوز ذلك فان العفو أحسن بك وأقرب لك الى الله عز وجل وليس يظن بك المذنب ولا غيره العجزَ ولا تعذر القدرة . وان كان مما لا يحتمل العفو عاقبتَ حينئذ على قدر الذنب ولم تتجاوزه الى مايقبح ذكرك ويزيغ دينك ويعقب عليـه نفسك . وانما يشتد هذا عليك عند تكلفه أوّل دفعة وثانية وثالثة ثم يصير عادة فيسهل لك ثم تستلذهُ اذا عملت فضيلة . فاستحسن ذلك بحكم [٢٨] ووعد انه يفعله وما زال ينبهه على شيء شيء حتى صلحت أخلاقه وكفَّ عن القتل والعقوبات الغليظة واستحلى ما كان يشير به من استعمال العدل والانصاف ورفع الجور والظلم وعمل به حتى قال : قد تبينتُ ان العـدل أربحُ للسلطان بكثير وانه يحصل له دنيا وآخرة وان مواد الظلم وان كثرت وتعجلت سريعة النفاذ والفناء والانقطاع وهو مع ذلك كانه لا يبارك فيها وتحدث حوادث يتحزمها ثم يعود بخراب الدنيا وفساد

الآخرة[1] فقلت له : وبالضد فان موادّ العدل تنمي وتزيد وتدوم وتبارك فيها عند ابتداء العمل به . وعمل بواسط وقت المجاعة دار ضيافة وبغداد

(١) وأما حال بجكم مع الراضي فقد قال أبو بكر الصولي في كتاب الاوراق في ترجمة سنة ٣٢٢ : وقال لنا الراضي بالله . كان بالناس يقولون «أرضى هذا الخليفة بان يدبر أمره عبد تركي حتى يتحكم في المال ويتفرد بالتدبير» ولا يدرون ان هذا الامر أفسد مني وأدخلني فيه قوم بغير شهوتي فسلمت الي ساجية وحجرية يتسحبون عليّ ويجلسون في اليوم مرّات ويقصدونني ليلا ويريد كل واحد منهم ان أخصه دون صاحبه وان يكون له بيت مال وكنت أتوقى الدماء في تركي الجبل عليهم الي ان كفاني الله أمرهم . ثم دبر الامر ابن رائق فدبره أشد تسحبا في باب المال منهم وانفرد بشربه ولهوه ولو بلغه وبلغ الذين قبله ان على فرسخ منهم فرسانا قد أخذوه وطالبوا بالاستحقاق وربما أخذوه ولم يبرحوا ويتعدي الواحد منهم أو من أصحابهم على بعض الرعية بل على أسبابي وآمر فيه بامر فلا يمتثل ولا ينفذ ولا يستعمل . وأكثر ما فيه ان يسلبني فيه كاتب من كلابهم فلا أملك رده وان رددته غضبوا وتجمعوا وتكلموا . فلما جاء هذا الغلام جاء من لا يقول لي « منعتك » أو « أجلستك » كما كانوا يقولون بل اعتد انا عليه بالاصطناع ووجدته ان تعدى أحد من أصحابه لم يرض الاّ بقتله والمبالغة في عقوبته وان بلغه ان عدوًّا قد تحول في ناحية نهض اليه فسبق خبره من غير إعتساف لي بطلب مال ولا تلبّث لوفاء استحقاق . فرضيت ضرورة به وكان أوفق لي وأحبّ اليّ ممن قبله وكان الاجود ان يكون الامر كله لي كما كان لمن مضى قبلي ولكن لم يجر القضاء بهذا لي .

وكان دعي بجكم مرّات ماهنا مرّة الاّ وهو ينفق عليه في خلعه وما يحمله معه عشرين الف دينار وزيادة عليها من صواني ذهب وفضة وعنبر وند ومسك وكافور وبلور . وعلم ان عادته في داره وحشمه الاّ يشرب الماء اذا جاؤه به يصب منه في اناء معه فيشربه ثم يناوله اياه . فكان يستعمل الراضي معه هذا اذا حمل اليه كوز وضع بين يدي الراضي أولا فأكل منه ثم وضع بين يدي بجكم وكذلك النبيذ وجميع ما يوضع بين يديه وكان يستعفيه من هذا فلا يعفيه . ولقد قبل في آخر دعوة دعاه فخذه وبده فضمه الراضي اليه واخرج من أصبعه خاتمين فوضعهما في أصبعه أحدهما يشبه الجبل في حمرته وكبره . فنظر ابن حمدون الى ونظرت اليه واغتممنا ان يكون الجبل في يد غيره فنطن لنا فلما انصرف بجكم قال لنا : قد رأيت نظركما وقت الخاتم واحسبكما ظننتماه الجبل ليس به ولكنه أقرب فص في الدنيا شبهاً به .

بيمارستان وعدل فى أهـل واسـط وأحسن الى أهلها الا أن مدّتهُ لم تطل فقتل عن قرب . ولله تدبير فى أرضه وله أمر هو بالغه

ولقد قال لى بجكم بعد موت الراضي وأنا معه بواسط وعلى رأسه من خدم الراضي جماعة : ان هؤلاء حـدثونى ان الراضي أراد ان يقبض عليّ في بعض دعواته أفكان كذا ؟ فقلت له : الامير يعلم ان الراضي لايرجى في هذا الوقت ولا يخاف وبالله ما استبنا منه هذا فى حال صحوه ولا سكره ولا جـدّه ولا هزله وما كان الاّ خيراً للامير مغتبطاً به . ولقد كان يتصنع في مدح ابن رائق حين كرهه ويقرّظه ويصفه فـا كان يخفى علينا ضميره فيه هذا من قبل ان يظهر لنا مافي نفسه عليه . فقال لي : صـدقت والله وكذب هؤلاء وما يدريهم كان الامر عندي كما قلت . ثم حدّثته بماعهد ذكرته من قول الراضى « انا أعلم ان الناس يقولون » فضحك وقال : ما كان الاّ نهاية في عقله ودهائه وملقه (يريد بجكم هذا وان لم يلفظ بهذا اللفظ) ولـكني أعتب عليه بانه كان شديد الحين يؤثر لذّته وشهوته على رأيه. فعجبت والله من عقل بجكم جاه والله بعجيبه اللذين ما كان فيه غيرهما

ثم حدثته انا كنا نقف على مكاتبته الامير سراً ليأذن له المصير الى بغداد ويشكو اليه ما كان يجرى عليه من ابن رائق فيكتب اليه « عليك بالوفاء لمن اصطنعك وأحسن اليك » الى أن كتب اليه الامير « أعوذ بالله أن يكون مولاى يريد قتلى كما يريد ابن رائق لانه أعطاني جيشاً بغال معدوم ثم لم يوفني استحقاقهم وهذا سمى على دمي » وانه لمـا ورد عليه كتاب الامير بهذا كتب اليه « والله ما أحب أن يتأذى بشئ أقل جندك واتباعك لموضعك عندى ومايستحقه شـجاعتك ومناصحتك فكيف أحب ماذ كرته فيك فاذا صار الامر الى هـذا وجعلت وصيتى لك بالتمسك بالوفاء وحسن العهد سبباً لزوال أمرك فما أحب هـذا افعل مايصلحك . فلما قرأ الامير هذا الكتاب قال : ثم وقفنا في وقت من الاوقات ان الامير اتهمه بأنه كاتب في أمره بعض من (لا) يصلح للمكاتبة فى مثله وان ذلك اتصل به فوجه الى الامير : قدعلمت الحال التى كنت عليها لابن رائق فى كراهتى له في آخر أيامه وما أجرى عليه مما يستوجب به ازالة أمره ومكاتبتك لى فيه بمـا كاتبت فان كنت مع تلك الحال أذنت لك في مكروهه أوتغير عليه مع تسخطى وتغيظي فاني سأكاتب فيك علي بعد ما بينكما وأنا فى هذا الوقت مغتبط بك وأضر بجميع فعلك وأمرك . فضحك بجكم وقال : كذا كان وأزال هذا جميع ماجبلى مما تهمته وعلمت أنه صادق فيه